الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل متطلبات استكمال شهادة الماستر في تخصص:
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط والموسومة بـ:

تجارة الرقيق بالسودان الغربي خلال العصر الوسيط

إعداد الطالبة:
حنان بن رحمون

بإشراف الأستاذة الدكتورة:
نعيمة طيب بوجمعة

لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
دة. نوارة شرقي	محاضر ب	جامعة ابن خلدون تيارت	رئيسا
أ.دة. نعيمة طيب بوجمعة	أستاذ	جامعة ابن خلدون تيارت	مشرفا ومقررا
أة. عربية بورملة	مساعد أ	جامعة ابن خلدون تيارت	مناقشا

الموسم الجامعي: 1445-1446هـ/2024-2025م

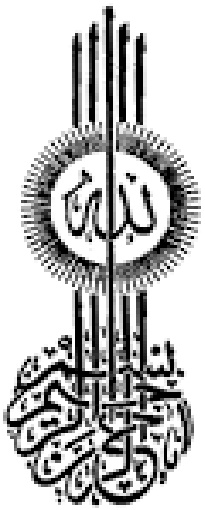

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَاب﴾

سورة الزمر، الآية: 9

شكر وتقدير

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

سورة إبراهيم/ الآية:7

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي سخر لنا نعمة العقل وفضلنا على كافة مخلوقاته، ونشكره مرة أخرى على عونه وعلى إتمام نعمه وعلى لطفه ويسره، فليس عندنا شيء ولا من شيء ولا لنا شيء فالفضل كل الفضل لله الواحد الأحد.

أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذة الفاضلة الأستاذة الدكتورة نعيمة طيب بوجمعة التي تفضلت بالإشراف على هذه المذكرة، فشكرا لها على نصائحها القيمة والثمينة التي أنارت ومهدت الطريق لي لإتمام هذه الدراسة.

كما أشكر الأستاذتين الفاضلتين عضوي لجنة المناقشة دة. نوارة شرقي وأة. عربية بورملة على موافقتهم مناقشة هذا العمل.

ويطيب لي أن أشكر جميع أساتذتنا الكرام في قسم التاريخ بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي في مرحلتي الليسانس والماستر، والشكر موصول أيضا إلى جميع عمال مكتبة الكلية على تعاونهم وحسن استقبالهم، وإلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد لأجل إتمام هذا العمل

وفي الختام أقول للجميع من الله الثواب العظيم والأجر الجزيل والله ولي التوفيق.

إهداء

قال تعالى:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

سورة النمل الآية 19.

إلى والدتي الكريمة بن دين مليكـــــــة

إلى والدي الكريم منـــــــصور

إلى أخواتي وأخويّ الذين شاركوني كل كبيرة وصغيرة حلوها ومرها وكانوا مصدر عون لي

إلى صديقاتي وزملاء دفعتي، ولكل طالب علم طموح إليكم جميعا أهدي هذه المذكرة.

الطالبة

حنان بن رحمون

قائمة المختصرات:

المختصر	معناه
تق	تقديم
تع	تعليق
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ض	ضبط
مج	مجلد
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ

مـــقـــدمـــة

مع تطور المجتمعات واتساع نطاق التبادلات التجارية، أصبحت تجارة العبيد تجارة منظمة ومعتمدة في العديد من المناطق من بينها بلاد السودان الغربي التي شكلت مصدرا مهما للرقيق الأسود خاصة خلال العصر الوسيط، نظرا لعوامل اقتصادية واجتماعية متعددة، لذا اعتبرت أحد أهم المناطق التي نشطت بها هذه التجارة خاصة مع تشجيع حكام الممالك المحلية مثل غانة ومالي وسنغاي الذين أسهموا في تشجيع وتنظيم هذه التجارة، فارتبطوا بعلاقات تجارية مع المناطق المجاورة لهم خاصة مع بلاد المغرب الإسلامي.

وظاهرة الرق هي ظاهرة بشرية مارستها مختلف الشعوب عبر التاريخ بطرق وأساليب متنوعة، ولم تكن بلاد السودان الغربي بمنأى عن ذلك؛ فقد عرفت هذه الظاهرة وتعاملت معها وفق تقاليدها وأعرافها المحلية المقننة والمنظمة لها؛ فقد تميزت ظاهرة الرق بالمنطقة بخصوصيات جعلتها مختلفة عما عهدناه لدى الشعوب والأمم الأخرى، لكن مع ذلك خضعت لقوانين نظمتها وحكمتها حسب صنف العبيد، إذ ميزت الروايات المحلية بين صنفين من العبيد: عبيد المتاجرة وعبيد البيوت ولكل صنف وضعه الاجتماعي والوظيفي الخاص به، أما طرق الحصول عليهم اختلفت، فمنهم أسرى الحروب أو عن طريق البيع أو النشوء في بيئة عبودية وعن طريق القنص وغيرها من روافد الاسترقاق.

وتكمن أهمية موضوعنا "**تجارة الرقيق في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط**" في كونه يسلط الضوء على جوانب تاريخية مهمة فهي تعرفنا على القوانين والأحكام المنظمة للعلاقات داخل المجتمع الإفريقي خلال العصر الوسيط، كما أن دراسة تجارة الرقيق في بلاد السودان الغربي تساعدنا في معرفة العوامل التي ساهمت في انتشار هذه الظاهرة، والدور الذي لعبه حكام الممالك الإفريقية في تنظيم تجارتها، وانعكاسها على اقتصاد السودان الغربي وحت تأثيرها على العلاقات الداخلية والخارجية للمنطقة.

أما عن الدراسات السابقة فقد تناول مجموعة من الباحثين هذا الموضوع في أبعاده المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، من بينهم: كتاب **"تجارة الرقيق بين بلاد المغرب والسودان خلال العصر المرابطين والموحدين" لفريد مهندس** تناول تاريخ تجارة المغرب الإسلامي

لتجارة الرقيق ما قبل العصر الوسيط، كما تحدث عن دور اليهود في هذه التجارة وأشهر أسواقهم وأشهر الطرق بين السودان وباقي الأقاليم التي ساهمت وسهلت الحصول على الرقيق.

رسالة دكتوراه دوله الموسومة بـ"**العلاقات الثقافية والتجارية المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**" لبوداوية مبخوت، سلط الضوء فيها على أبرز المراكز التجارية بالسودان الغربي التي أسهمت في تنشيط هذه التجارة سواء الأسواق كأودغشت وجني وجاو وتمبكتو أو المراكز التجارية التي اعتبرت مراكز لتجميع العبيد كسجلماسة ووارجلان.

كتاب "**التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء**" للهادي مبروك الدالي الذي سلط الضوء على دور الرقيق في نقل الثقافات، وتعتبر هده من أهم الدراسات التي تحدثت عن دور الرقيق بالسودان الغربي في نقل الموروث الثقافي المحلي لمناطق جديدة ببلاد المغرب الإسلامي.

أما كتاب "**المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10هـ/11 و16م**" لزوليخة بن رمضان وهو في أصله أطروحة دكتوراه منشورة والموسومة، وضحت فيه مفهوم ظاهرة العبودية في المجتمع السوداني خلال العصر الوسيط، وكيف أن هذه الظاهرة يجب دراستها وفق التقاليد المحلية التي لها خصوصياتها مما يجعلها منفردة عن غيرها.

وبينت لنا جميلة بن موسى في مقالها المعنون بـ"**ذهب السودان ودوره في تجارة المغرب الأوسط**"، ذلك الارتباط العميق بين تجارة الذهب والرقيق، وكيف أن تجارة الذهب كانت ملازمة لتجارة العبيد.

ومن هنا يعالج موضوعنا الإشكالية الرئيسية التالية: ما أهمية تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، وهل تغير مفهوم هذه التجارة بعد أن اتخذت الممالك المحلية الإسلام دينا رسميا لها؟ وما الأسس التي قامت عليها تجارة الرقيق الأسود في المنطقة، وكيف ساهمت هذه التجارة في تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية للممالك السودانية؟

ويندرج تحت هذه الاشكالية جملة من التساؤلات الفرعية:

- مفهوم الرق لدى المجتمعات الإفريقية خلال العصر الوسيط، وما هي العوامل الاقتصادية والسياسية التي شجعت على تجارة العبيد في السودان الغربي؟ وكيف نظر الفقهاء والعلماء المسلمون والأفارقة لمشروعية هذه التجارة؟
- ما دور الممالك السودانية في تنظيم وتشجيع هذه التجارة؟
- هل أثرت هذه التجارة على طبيعة التركيبة السكانية والاجتماعية للمجتمع السوداني؟
- ما أهم الطرق والمراكز والأسواق التجارية التي اعتمدت عليها شبكات تجارة الرقيق؟ وهل ساهمت تجارة الرقيق في نشر الثقافة الإسلامية وثقافتهم الافريقية في الأماكن الجديدة التي استقروا بها؟

واخترت موضوع: **تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط**، لعدة أسباب علمية وذاتية، فمن الأسباب العلمية منها أن هذا الموضوع لم يدرس على مستوى جامعتنا، رغم أنه كان عنصرا أساسيا في تجارة السودان الغربي وأحد ركائز اقتصاده.

ومن الدوافع الذاتية اهتمامي بتاريخ المنطقة ورغبتي الشخصية في دراسة تاريخ السودان الغربي خاصة فيما يتعلق بنظام الاقتصادي وأثره على البنى الاقتصادية بالدرجة والاجتماعية والسياسية للمنطقة خاصة بعد انتشار الإسلام بها.

واعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي بآلياته المعروفة كالتحليل والوصف والاستقراء لأنه يناسب موضوع دراستنا، والذي سمح لنا بتتبع تطور هذه التجارة عبر التاريخ، لمعرفة الأسباب التي أدت إلى انتشار تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي، ومعرفة دوافع الممالك التي ساهمت فيه هذه التجارة، وتتبع والطرق والمسالك التجارية التي مرت بها، واعتمدنا على تحليل ما ورد من المصادر من أجل ربط الأحداث وفهم العلاقة بين تجارة الرقيق والعوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أثرت فيها، واعتمدت على الذكاء الاصطناعي في إعادة صياغة بعض الفقرات.

ولإنجاز هذا العمل وظفنا جملة من المصادر والمراجع التي تنوعت بين كتب تاريخية وجغرافية مقالات، تناولت تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، لعل من أهمها:

1- كتاب "**تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**" لمحمود كعت (ت: 1002هـ/ 1593م)، من بين أهم مصادر بلاد السودان الغربي التي تحدثت عن تاريخ مملكة صنغاي منذ عهد سني علي الذي حكم من 1464 إلى 1492 حتى عام 1599، والذي انفرد بالحديث عن "عبيد البيوت" أي القبائل المستعبدة والتي لم تتضح صورتهم إلا مع القرن 10هـ/16م.

2- كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" لصاحبه البكري أبي عبيد الله عبد العزيز (**ت:** 487هـ/1094م) حدد لنا أهم الطرق التجارية التي تربط بين السودان الغربي والعالم الإسلامي.

3- كتاب "**تحفة الأنظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار**" لابن بطوطة (**ت:** 779هـ/1377م) ساعدنا في الكثير من المواضع لعل أهمها دور مملكة مالي في تجارة الرقيق في الفصل الأول وكذا دور العبيد في الأعمال المنزلية الفصل الثاني.

4- كتاب "**آثار البلاد وأخبار العباد**" لأبي يحيى زكريا القزويني (ت: 682هـ/1284م) ساعدنا في عنصر دور الرقيق في تجارة الملح في الفصل الثاني.

5- كتاب "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا" لشهاب الدين أحمد القلقشندي** (ت: 821هـ/1417م) ساعدنا تحديد موقع السودان الغربي، وكذلك دور الرقيق في نقل الثقافة الإسلامية في الفصل الثاني.

أما بالنسبة للمراجع التي ساعدتنا في بحثنا هذا كثيرة ونذكر منها:

1- "التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء" للهادي مبروك الدالي، ساعدنا في عنصر دور الرقيق في تعزيز الاقتصاد، كما أفادنا في عنصر تأثير تجارة الرقيق على الزراعة والصناعات المحلية.

2- كتاب "**الوسيط في التراجم**" للشنقيطي، أفادنا في ذكر دور الرقيق في تجارة الملح، إضافة إلى آثار تجارة الرقيق على التركيبة السكانية من حيث تفكك الأسر.

3- كتاب "**الحرب والمجتمع في السودان الغربي**" لبطل شعبان مُحَمَّد غرياني، أفادنا في عنصر تحويل التركيز الاقتصادي نحو تجارة الرقيق على حساب الأنشطة الأخرى، كما ساعدنا في عنصر تفكك القبائل واندماج أخرى.

وقسمنا موضوعنا إلى مقدمة ومدخل وفصلين رئيسيين وخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها، فجاء المدخل حاولنا من خلاله دراسة جغرافية بلاد السودان الغربي وتجارة الرقيق خصص لفهم السياق العام للموضوع، وتم تقسيمه إلى العناصر التالية، أولا **المجال الجغرافي لبلاد السودان الغربي**، حيث تم تحديد المنطقة جغرافيا، وثانيا **الخصائص المناخية** التي ميزت المنطقة ودورها في الاستقرار البشري، كما تناولنا باختصار لأنهار الرئيسية كنهر النيجر والسنغال وغامبيا التي لعبت دورا حيويا في تنقل السكان والتجارة، وثالثا **التركيبة السكانية** لمعرفة أهم الشعوب والقبائل الفاعلة في المنطقة كقبائل الماندينغ والتكرور والفلان والهاوسا، رابعا درسنا **الممالك السودانية** التي كان لها دور فاعل في المنطقة سياسيا واقتصاديا وهي ممالك غانة ومالي وسنغاي، الأهمية التاريخية للمنطقة وسادسا **جذور تجارة الرقيق في افريقيا** فعرفنا الرق بعدها تجارة الرق لدى المجتمعات الافريقية والمغاربية ثم موقف كل من العلماء الفقهاء والحكام من مشروعية هذه التجارة وذلك من أجل فهم تطورها لاحقا في هذه المنطقة تحديدا.

أما الفصل الأول المعنون بـ"**المماليك السودانية وشبكات تجارة الرقيق في السودان الغربي**"، قد تم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث أساسية، المبحث الأول تناول "**دور الممالك السودانية واليهود في تجارة الرقيق**"، حيث تم التطرق إلى مساهمة الممالك الكبرى مثل غانة ومالي في تنظيم هذه التجارة، من خلال التحكم في الطرق وفرض الضرائب، وتطرقنا بعدها لأصناف العبيد السودانيين الذين صنفوا وفق التقاليد المحلية إلى عبيد البيوت وعبيد التجارة، وتصنيفهم هذا يوضح وضعيتهم الاجتماعية والقانونية ويفسر صمت الفقهاء والحكام إزاء مشروعية تجارتهم. كما تم التطرق إلى دور اليهود الذين نشطوا هذه التجارة ولعبوا أدوار الوساطة خاصة في توات بين شبكات التجارة من إفريقيا الى العالم الخارجي ثم ظهر وسطاء آخرون مع القرن 10هـ/16م وهم تجار أودغشت.

أما المبحث الثاني المعنون بـ"**العلاقات التجارية مع العالم الخارجي**"، ركزنا فيه خلال على طبيعة الروابط التجارية بين السودان الغربي وكل من بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين، وعلاقاته مع الأوربيين في القرن 10هـ/16م، مع بيان كيف ساهمت هذه العلاقات في تعزيز تجارة الرقيق وانتشارها على نطاق واسع.

أما المبحث الثالث فقد تناول "**طرق تجارة الرقيق وشبكاتها**"، وذلك من خلال دراسة الطرق التجارية الرئيسية التي سلكتها القوافل التجارية العابرة للصحراء، مع ذكر لأهم المراكز والأسواق التجارية الكبرى التي مثلت نقاط تجمع وتوزيع للرقيق، إلى جانب تحديد مصادر جلب الرقيق وطرق الحصول عليهم إما عن طريق الإغارة والقنص والسبي والسرقة والإهداء والدين وغيرها من روافد الاسترقاق.

والفصل الثاني المعنون بـ"**الآثار الاقتصادية والاجتماعية الثقافية والدينية لتجارة الرقيق**"، قسم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث رئيسية: المبحث الأول تناول "**الآثار الاقتصادية**" لتجارة الرقيق، حيث تم التطرق إلى دور هذه التجارة في تعزيز الاقتصاد المحلي من خلال تدفق الثروات والسلع والعملات، وتأثيرها على النشاط التجاري العام، والانعكاسات السلبية التي تمثلت في نقص اليد العاملة بسبب تصدير الأفراد، مما أثر على الزراعة والصناعات التقليدية؛ كما تطرقنا للعلاقة بين تجارة الرقيق وتجارة السلع الأخرى كالملح والذهب، إلى جانب أثرها في تأثير توجيه شبكات التجارة الإقليمية.

أما المبحث الثاني "**الآثار الاجتماعية**" من خلال التركيز على **تأثير تجارة الرقيق في البنية التركيبة السكانية**، حيث أشرنا إلى تفكك الأسر، إضافة إلى **التغيرات النظم الاجتماعية والقبلية**، مثل تفكك بعضها واندماج أخرى، وتغير أدوار الزعامات المحلية، كما تطرقنا إلى الأدوار التي كان يؤديها الرقيق الأسود داخل المجتمع السوداني والمغربي سواء الأعمال المنزلية والزراعية أو ضمن الجيش.

والمبحث الثالث فكان بعنوان "**الآثار الثقافية والدينية**" لهذه التجارة من خلال دراسة دور الرقيق في نقل الثقافة الإسلامية، ومدى تأثير الإسلام على حياتهم وعلى المجتمعات المحلية عموما.

كما تطرقنا في المبحث إلى دورهم في نقل العادات والتقاليد، والتفاعل الثقافي بين المجتمعات الافريقية والعربية، مما أدى إلى ظهور عناصر ثقافية جديدة واندثار بعض العادات القديمة.

ولإنجاز هذا العمل واجهتنا بعض الصعوبات من أهمها قلة المصادر المتخصصة في هذا الموضوع، وصعوبة الحصول على مصادر أجنبية مثل كتاب "**حضارة إفريقيا الرومانية**" لصاحبه شارل بيكارد، وكتاب **العبودية الإسلامية المسيحية** لكاتبه لويس كوستاف، أما بالنسبة للمصادر والمراجع الأجنبية التي لم نتمكن من الحصول عليها، نذكر:

Les formes d'esclavage dans le Soudan occidental, Martin A.

هذا الكتاب تناول فيه صاحبه أوضاع العبيد في السودان الغربي

Recherches sur la structure des Empires du Soudan occidental du XIV^{e} au XVII^{e} siècle et leurs relations avec le bassin méditerranéen, Sanni B.M

أطروحة دكتوراه بجامعة تولوز بفرنسا نوقشت سنة 1986م، أشار فيها مؤلفها ساني لأنواع العبيد السود في المجتمع الافريقي ووضعيتهم وظروف معيشتهم.

مدخـــل

تعد بلاد السودان الغربي من أبرز المناطق الجغرافية في إفريقيا، حيث ساهم موقعها الاستراتيجي في نشوء شبكات تجارية واسعة، وقد كانت تجارة الرقيق من أبرز ملامح هذه الشبكات، مارستها شعوب وممالك مختلفة في افريقيا من العصور القديمة قبل أن تتخذ اشكالا جديدة مع تطور العلاقات الخارجية للمنطقة.

أولا: المجال الجغرافي لبلاد السودان الغربي:

1- الموقع:

بلاد السودان الغربي هي تلك المنطقة الجغرافية التي يحدها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا الكاميرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية، وغربا المحيط الأطلسي، ومن الجنوب خليج غينيا[1]، وتُمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب، وتفصل بينهما الصحراء الكبرى. ومصطلح "بلاد السودان" هو تعبير جغرافي عربي[2]، وهو ما يعرف حاليا بمنطقة حوض نهر السنغال والمناطق المحيطة به وحوض غامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط والأعلى[3]، أما الموقع الفلكي فهو محصور ما بين دائرتي عرض 11° و17° شمال خط الاستواء وخط طول 10° شرقا و17° غربا[4].

وعند الرجوع للمصادر التاريخية والجغرافية نجدهم قد تحدثوا وحددوا المجال الجغرافي لبلاد السودان الغربي، مثلا حددها ابن خلدون، بقوله: "**أهل الاقليم وما وراءه إلى آخر الأول بل إلى آخر المعمورة متصلون ما بين المغرب والمشرق ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وإفريقية وبلاد اليمن والحجاز في الوسط، وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق**"[5].

---

[1]- للاطلاع على خريطة السودان الغربي ينظر الملحق رقم (1)، ص 95

[2]- إيهاب شعبان الشافي سالم، **القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثاره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/1238-1591م)**، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2012، ص 3.

[3]- أحمد طاهر، **إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر**، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص 66.

[4]- مُحَمَّد علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م، ص 19.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط ونشر ومراجعة خليل شحادة، بيروت، ط 4، د.ت، ص 264.

أما ياقوت الحموي (ق7هـ/13م)، فيقول عنها: "**النصف الجنوبي فهو ربعان شرقي جنوبي فيه بلاد الحبشة والزنج والربع الغربي وهو متاخم للسودان الذين يتاخمون البربر**"[1]. وحددها القلقشندي، بقوله: "**وهي بلاد متسعة أرجاء رحبة الجوانب يحدها من الغرب البحر المحيط الغربي، ومن جنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القزم بلاد اليمن والأمكنة مجهولة الحال شرق بلاد الزنج في جنوبي البحر الهندي ومن الشمال البراري الممتدة فيما بين الديار المصرية وأرض برقة وبلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط**"[2]، كما يقول فيها القزويني (7هـ/13م): "**هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة و غربها إلى المحيط**"[3].

والسودان الغربي بمفهومه المعاصر يشمل كلا من: موريتانيا، الصحراء الغربية، مالي، السنغال، غامبيا، غينيا بيسا، غينيا كوناكري، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، بوركينا فاسو، طوغو، بنين، غانا، نيجيريا، النيجر، الكاميرون.

2- المناخ:

تميز مناخ بلاد السودان الغربي، خلال العصر الوسيط بظروف قاسية في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، والتي كانت تشكل جزءا كبيرا من جغرافية المنطقة، كما وصفها الجغرافي الإدريسي في القرن الثاني عشر الميلادي فإن أكثر أراضيها كانت عبارة عن "**رمال تنسفها الرياح من مكان إلى مكان فلا يوجد بها شيء من ماء**"[4]، هذا الوصف يعكس طبيعة المناخ الجاف والحار الذي ساد في أجزاء كبيرة من المنطقة حيث كانت الرياح القوية تعيد تشكيل التضاريس الرملية باستمرار، مما جعل

---

[1]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 1، بيروت، دار صادر، ط1، 1977م، ص 19

[2]- أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج 5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1333هـ/1915م، ص 273.

[3]- زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر، د.ت، ص 24.

[4]- أبو عبد الله مُحَمَّد الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج 1، المكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد، 1422هـ/2002م، ص 18

الحياة صعبة بسبب ندرة المياه وعدم استقرار البيئة، كما أشار **الإدريسي** إلى أن هذه البلاد كانت "**كثيرة الحر وإحراق الشمس**"[1]، مما يؤكد أن درجات الحرارة المرتفعة كانت سمة رئيسية لمناخ المنطقة، مع ذلك فإن المناطق الجنوبية من بلاد السودان الغربي كانت تتمتع بمناخ أكثر اعتدالا نسبا. وقد وصف الجغرافي ابن حوقل السودان في كتابه صورة الأرض، بقوله: "...**وحد ينتهي إلى البرية التي ذكرت أنها تنبت ولا عمارة فيها لشدة الحر**"[2]، مما يعكس طبيعة المناخ القاسي في بعض المناطق الشمالية، حيث تسود الحرارة الشديدة والجفاف، مما يجعلها غير صالحة للزراعة والاستيطان البشري.

واختلف المناخ بين الجنوب والشمال فكلما اتجهنا جنوبا كان المناخ معتدلا وممطرا وصالحا للعيش؛ والعكس كلما اتجهنا شمالا انعدمت ظروف المعيشة بسبب ارتفاع درجة الحرارة[3]، والجفاف الضارب فيها، مما دفع الممالك السودانية لتأسيس ممالكهم في الجهة الجنوبية ونشوب حروب قبلية للسيطرة على المناطق الخصبة.

وكان للرياح دور في تشكيل هذا المناخ إذ كانت تهب بشكل مستمر وقوي، محملة بالغبار والرمال، ما زاد من جفاف المنطقة، ومنع تشكل السحب الماطرة، وفي وصف دقيق قال ابن سعيد المغربي: "**لا ماء ولا مرعى ولا عمارة بل رمال سائلة، وطرق مظلمة طامسه**"[4]، فالرياح تسبب التصحر وتطفئ مظاهر الحياة وتكرس واقعا مناخيا لا يصلح للاستقرار أو النشاط الزراعي، ولهذا كان التمدد السكاني والعمراني يتركز نحو الجنوب حيث المناخ أقل قسوة وأكثر ملائمة لنشوء الممالك الكبرى. لذا يمكن القول بأن المناخ كان عاملا حاسما في تشكيل طبيعة الحياة بالمنطقة، حيث ساد الجفاف في الشمال بفعل الرياح القاسية والرمال الزاحفة، بينما تميز الجنوب بمناخ أكثر اعتدالا سمح

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

[2]- ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 25.

[3]- بطل شعبان مُحَمَّد غرياني، **الحرب والمجتمع في السودان الغربي (726-1000هـ/1325-1591)**، جامعة القاهرة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، ط 1، 2022م، ص 73.

[4]- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 1982م، ص 113.

بقيام ممالك زراعية وتجارية مزدهرة، لقد رسم المناخ حدود الاستقرار البشري، وأسهم في تحديد مسارات الحضارة في هذا الجزء من إفريقيا، كما أنه ساهم مع جغرافية المنطقة في تحديد مسار الطرق المسالك التجارية.

3- التضاريس:

بموجب وقوع بلاد السودان الغربي ضمن النطاق الصحراوي فإن معظم أراضيه رملية ما عدا الأقاليم الواقعة بمحاذاة نهري النيجر والسنغال وروافدهما، وتنوعت تنوع تضاريسه من منطقة إلى أخرى، فنجد سلسلة جبال سيقوجاو وهجار وآهير وجبال أورار الشرقية الغربية بالمنطقة الصحراوية، وقد ترتفع بعض أماكن الصحراء إلى 6.000 قدم فوق سطح البحر كما تنخفض إلى مائة قدم 100 قدم تحت سطح البحر[1].

وتعتبر الكتلة الجبلية فوتا جالون من أهم المناطق الجبلية، وتمتد من غينيا إلى وكناكري وغرب ليبيريا وشمال سيراليون، ويعتبر جبل نيمبا (Nimba) الذي يقع في جنوب غينيا كناكري قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج، أعلى قمم جبال فوتا جالون قرب حدود السنغال يبلغ ارتفاعه 1.538م، أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فتقوم في دولة التوغو متوسط ارتفاعها 900 م، أما الشواطئ الرملية فتبدأ في غينيا وتنتهي في نيجيريا، مشكلة بعض الخلجان التي تؤلف موانئ صالحة لرسو السفن مثل أبيجان في ساحل العاج[2].

أما هضابه نذكر منها هضبة النيجر، أما السهول تقع شرق بلاد الهاوسا مشكلة منخفض بحيرة التشاد إضافة للسهول الممتدة على ضفاف نهري النيجر والسنغال، وتوجد العروق بالمنطقة المتاخمة للصحراء الكبرى شمالا، ما بين بلاد المغرب جنوبا وبلاد السودان الغربي شمالا[3].

---

[1]- مبروك الهادي الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، بيروت، ط1، أوت 1999م، ص 19.

[2]- باري مُحَمَّد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007م، ص ص 21-22.

[3]- دنيس بولم، **الحضارات الإفريقية**. تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 54.

وشكلت أنهار السودان الغربي عنصرا حيويا في تشكيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية حيث تمتد هذه المنطقة عبر شبكة مائية تضم أنهار كبرى مثل نهر النيجر والسنغال، اللذان لعبا دورا محوريا في تطور الحضارات والممالك في ذلك الوقت.

أ- نهر النيجر: ثالث أنهار إفريقيا طولا بعد نهري النيل والكونغو، يبلغ طوله 4200 كم، ومساحة الحوض تزيد عن 2 كلم[2]، ويتميز عن نهر النيل في أن منابعه تقترب من مصبه[1]، إذ ينبع من حاشية المحيط الأطلسي الجبلية ويتجه نحو الصحراء ثم نحو خليج غينيا حيث يصب في دلتا النيجر في خليج غينيا[2]، وتميز نهر النيجر بخصوبة تربته ووفرة مياه ،كما أنه يعتبر محطة التقاء القوافل[3]، وهو صالح للملاحة إضافة الى أنه مصدر مهم لصيد السمك، وقد قامت على ضفافه حضارات أهم المدن الإسلامية[4].

ب- نهر السنغال: يعتبر من أهم الأنهار إذ بفضله عادت الحياة في عدة أقاليم كان يمكن أن تكون صحاري، فأصبحت أراضي جاذبة للسكان ومحطة للتنافس بينهم[5]، ينبع من وسط غينيا كوناكري، ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي (Saint louis) السنغالية، ويعتبر نهر سادس الأنهار الإفريقية طولا إذ يبلغ 1.600 كم، وخامسها من حيث مساحة حوضه، يصب في المحيط الأطلسي، وعمقه لا يتجاوز ثلاثة أمتار، والقسم الأوسط منه صالح للملاحة كما يعتبر مصدر خصب للأراضي التي يمر عبرها[6].

---

[1]- مُحَمَّد عبد الغني المسعودي، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي إقليم غربي إفريقيا**، مج 12، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام مُحَمَّد بن مسعود، 1419هـ/1999م، ص 41.

[2]- عبد الرحمن بوسليماني، **مطبوعة دروس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**، جامعة البليدة 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم المكتبات، 2024/2023، هـ2، ص 7.

[3]- بطل شعبان مُحَمَّد، **الحرب والمجتمع في السودان الغربي**، ص 75.

[4]- باري مُحَمَّد علي وسعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص 22.

[5]- الحاج موسى كامره، **زهور البساتين في تاريخ السوادين**، تح ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010، ص 28

[6]- باري مُحَمَّد وسعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص 24

وساهم هذا النهر بفضل امتداده عبر الأقاليم المختلفة في تعزيز النشاط البشري والاستقرار الزراعي، خاصة في قسمه الأوسط حيث تتوفر الظروف الملائمة للزراعة، كما كان له دور مهم في تنظيم العلاقات الاقتصادية بين المجتمعات التي يمر بها، وعندما اكتشفه البرتغاليون أطلقوا عليه اسم "سينا" أو "ساناغا" ثم تحول إلى سنغال، ويعتبر مصدرا هاما للمياه والملاحة النهرية وتعتبر أراضيه مصدرا للذهب[1].

ج- نهر غامبيا: أما نهر غامبيا فهو نهر صالح للملاحة يبلغ طوله 465 كم، كم أنه طريق مهم للمواصلات يخترق منطقة السافانا، والمناطق المحيطة به عبارة عن سهول خصبة صالحة لزراعة الفول السوداني، ويمكن استعمال القوارب في نهر كازامانس (Casamance) الذي يقع بالسنغال، ويبلغ طوله 320 كم، أما نهر سالوم (Saloum) بالسنغال يبلغ طوله 250 كم ويصب في المحيط الأطلسي. وجميع الأنهار المذكورة أعلاه لا تفصل بينها مرتفعات كبيرة، الأمر الذي سهل على الأفراد والتجار وغيرهم رسم المسالك التجارية النهرية القابلة للملاحة بكل سهولة، مما سهل عليهم مسألة الانتقال والسفر[2].

ثانيا: التركيبة السكانية

كانت منطقة السودان الغربي موطنا للمجموعات سكانية متنوعة وقبائل رئيسية، ساهمت في تشكيل تاريخ وحضارة الكيانات السياسية بالمنطقة، فيما يلي بعض القبائل الرئيسية:

1- قبائل التكرور:

أكثر الشعوب صلة بالصحراء وأولى القبائل[3] التي أسلمت على عهد الملك وارجابي بن رابيس، عرفوا بالتكرور جمعها تكارة أو تكاررة وتكرور ومنه جاء اللفظ الفرنسي توكولور (Takrur, Toucouleurs)، وسموا نسبة للبلاد التي سكنوها قديما التكرور التي تقع شمال حوض السنغال الأسفل، وهي فوتا السنغالية (Fouta Sénégalaise)، وعادة عندما يذكر الكتاب الإنجليز

[1]- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983م، ص 22.

[2]- المرجع نفسه، ص 22.

[3]- للاطلاع على خريطة القبائل ينظر الملحق رقم (2)، ص 96.

والفرنسيين لفظ التكرور يقصدون به الشعب الذي يعيش على ضفاف هذا نهر فوتا سنغومايو، وهي المنطقة التي تعرف حاليا بالسنغال وموريتانيا؛ لكن إبراهيم جوب يرفض ذلك لأن كلمة تكرور هي اسم مدينة مملكتهم.

سكنوا الجزء الأكبر من ضفاف النهر من بندو وبلاد فوتا على جانبي نهر السنغال، وإن كان أكثرها على الجانب الأيسر من النهر أين توجد أقاليم: دمار، تورو، لاو، بوسيه، جنار، وأصبحت كلمة تكرور مرادفة لهم لكلمة سوداني وقد تبعهم في هذا المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية، والواقع أن التكرور تدل على ما يعرف حاليا بالسنغال وموريتانيا[1]، كما سكنوا حول ضفاف نهر السنغال، خاصة الجهة الغربية، اشتغلوا بالزراعة، واعتنقوا الإسلام قبل وصول المرابطين[2]، ويرجح أنهم انبثقوا عن تزاوج بين الفلان والزنوج المحليين والبربر[3]، كما توزعوا أيضا في منطقة سيغو (Ségou) وبلاد نهر النيجر الأعلى، وتصاهر التكرور مع الولوف والفولاني حالهم حال قبائل السوننكي وتحدثوا لهجات متعددة.

2- قبائل الفلان:

اختلف المؤرخون حول أصل الفولان، فمنهم من قال من فرس آسيا وذهب آخرون إلى قول انهم نتيجة تزاوج الزنوج مع البيض العرب والبربر والطوارق، لغتهم هي الفولا، ويمتهنون الرعي وتربية الأبقار، ينتشرون غرب افريقيا اعتنقوا الإسلام في القرن 11م[4] يتكلمون بلغة بُولار (Pulaar) والولوف من أهم العناصر السكانية لبلاد السودان الغربي، فهم يمثلون ثالث تجمع من حيث العدد والأهمية، يتميزون بسواد بشرتهم وطول قاماتهم وصلابة أجسامهم، وكانت معظم قبائل وشعومنطقة

[1]- عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**، بنغازي، 1997م، ص ص 34-35.

[2]- عبد القادر محمد سيلا، **المسلمون في السنغال**، كتاب الأمة، قطر، ط1، 1995، ص 28.

[3]- الحاج موسى أحمد كامره، المصدر السابق، ص 30.

[4]- باري محمد وكريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص 25.

السينيغامبا ماعدا ماندينجو وفولان تخضع لحد ما لنفوذ الولوف حتى قبائل السيرير (Sèrer) الذين تمركزوا في الناحية الجنوبية ارتبطوا بهم ارتباطا وثيقا[1].

3 – قبائل الصنغاي:

نشأت على ضفاف نهر النيجر، تمتهن صيد السمك وزراعة الدخن، يتحدثون لغة صنغي التي تكتب بالحرف العربي[2]، من أهم عشائرهم **عشيرة ألدو** التي امتهنت الصيد النهري صيد الأسماك وزراعة الدخان[3]، وعشيرتي **كوروميا** و**كولومانص** مارستا النشاط الزراعي، وعشيرتي **السوركو** و**الكو** مارستا الصيد البري، واختلطوا مع مجموعات من المهاجرين ماندينجو القادمين من الغرب ومع عن مجموعات صنهاجية هاجرت من صحراء الملثمين خلال القرن 1هـ/7م، وتجاوزت منعطف نهر النيجر جنوبا لتدخل ضمن تلك العشائر وتشكل معا شعب الصنغاي[4].

سكنوا حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ثم انتقلوا إلى الشمال مع منطقة النيجر الأوسط، وفي القرن 2هـ/7م امتدت مساكنهم حول المنطقة المجاورة لنهر النيجر عند ثنيته أو ما يعرف بالنيجر الأوسط بحوالي 150 كم، فسكنوا الأقاليم الواقعة جنوب مدينة تمبكت الممتدة على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي إلى جنوب بوركينا فاسو وشمال نيجيريا، وهي المنطقة الوسط بين عالم الماندينغ والسودان الأوسط[5].

---

[1]– عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 33.

[2]– سعد فرح، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر**، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، قسم الحضارة الإسلامية، 2015/2016م، ص 29.

[3]– عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1989م، ص 11، 20.

4– ولد الحسين الناني، **صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**. تقديم مُحَمَّد حجي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2007م، ص ص 407-408.

[5]– إسماعيل العربي، **حاضر الدول الإسلامية**، مؤسسة الكتاب، الجزائر، ط1، 1984م، ص 242.

4– قبائل الولوف (Ouolofs , Yoloffs, Ghiolofs, Wolofs):

يشغلون المناطق الجنوبية من نهر السنغال، وتنسب أصولهم الى قبائل البربر والسرير والماندنكا، لون بشرتهم زنجية شديدة السمرة، يعتمدون على الزراعة، تتميز هذه القبيلة بالطبقية[1]. واحتلوا مناطق شاسعة بين نهري السنغال وغامبيا، ولكنهم أجبروا على الخروج منها بعد غارات قبائل الطراز المغربية، وتركزوا في ست تشكيلات الدولية: أوالوا، باوول، كايور، سنيه، سالوم، وانقسموا إلى أربع طبقات رئيسية: أرستقراطية الأحرار وأرباب العمل والحرف اليدوية والمغنون ثم العبيد الذين كان لهم حق تملك العقارات. ويعتبر الولوف من أهم العناصر السكانية لبلاد السودان الغربي، فهم يمثلون ثالث تجمع من حيث العدد والأهمية، يتميزون بسواد بشرتهم وطول قاماتهم وصلابة أجسامهم.

5- قبائل السوننك:

فرع من فروع قبائل الماند يتكلمون لغة الماند، مرتبطون بالأرض ولكن ذلك لم يمنعهم من مزاولة التجارة، واختلاطهم بالبربر غير بعض شيء في لون بشرتهم، يطلق عليهم اسم "سيركول" (Sérakoulé) التي تعني عند الولوف الرجال الحمر مما يدل على أنهم لم يكون صريحين في الصفات الزنجية[2]. وكانوا يقيمون في الصحراء ثم انتقلوا إلى الساحل ثم واستوطنوا المنطقة الساحلية المحاذية للصحراء من الجنوب، وموطنهم الأصلي منطقة وكدو (Wagadou) التي انتشر منها إلى المناطق المجاورة، وهم أيضا خليط من شعوب الصحراء والساحل وحوض النيجر، انصهرت مع الوقت بعد أن اجتمعت نواة هذا الشعب الأصلية وهي الكنكارة، وخلال الفترة الممتدة من القرن 2-5هـ/8-11م أصبح السوننكة من أكبر وأقوى العصبيات السودانية في غرب إفريقيا[3].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-514هـ/ 1038-1121م**، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1988م، ص 46-47

[2]- إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر والتوزيع، القاهرة، 1390هـ/1970م، ص ص 18-19.

[3]- ولد الحسين الناني، المرجع السابق، ص 408.

6- قبائل الطوارق:

يعود نسبهم إلى قبائل صنهاجة وذلك لوضعهم اللثام، لسانهم فرع من اللغة البربرية الصنهاجية، موزعون في مختلف مناطق الصحراء، يمتهنون الزراعة بالإضافة الى رعي الأبقار والجمال، أما عن صفاتهم الجسمانية يوصفون بأنهم أطول قامة وهي نحيلة رغم ذلك إلا أنها مفتولة ومتينة، بشرتهم بيضاء إلا ما ظهر للشمس[1].

وهكذا شكلت القبائل الرئيسية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط نواة التشكيلات السياسية والاقتصادية في المنطقة، كما ساهمت في ازدهار الممالك الكبرى وشاركت بفاعلية في التجارة العابرة للصحراء؛ مما جعلها عناصر محورية في تشكيل الهوية الحضارية للسودان الغربي.

ثالثا: الممالك السودانية

شهد إقليم السودان الغربي خلال العصر الوسيط تطورات حضارية وسياسية بالغة الأهمية، جعلته من أبرز المناطق في القارة، فقد كان الإقليم مكانا لقيام العديد من الممالك القوية والمزدهرة خاصة بعد انتشار الإسلام به، مما منحه مكانة تاريخية مميزة في تلك الفترة.

أ- مملكة غانة:

تعتبر مملكة غانة أول ممالك الإسلامية التي ظهرت في إفريقيا[2]، وتمتد فترة حكم المملكة من منتصف القرن الثاني الهجري إلى غاية القرن الخامس الهجري[3]، والإطار الجغرافي العام لمنطقة أوكار التي تقوم عليها المملكة تم توطينه ما بين نهر السنغال غربا ونهر النيجر شرقا، وعلى حدودها الشمالية تتحرك القبائل البربرية والصحراوية، وفي أقصى اتساع لها مدت نفوذها جنوبا لكنها لم تلامس قط

[1]- مُحَمَّد عوض مُحَمَّد، **الشعوب والسلالات الإفريقية**، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص 151، 153.

[2]- نور الدين شعباني، **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، الجزائر، د.ت، ص 35.

[3]- المرجع نفسه، ص 37

مقدمة الغابات الاستوائية[1] ، أي أن مملكة غانة تشمل الآن جنوب موريتانيا وشرق السنغال وجزء من مالي، ويمكن إضافة غينيا كأقصى حدود وصلتها في أوج قوته.

وعرفت مملكة غانة عرفت فترتين من الحكم الفترة الأولى تسمى بفترة حكم البيضان، وحسب السعدي حكمها اثنين وعشرون ملكا كلهم من البيضان، وأول ملك اسمه قيمع/ كيمع[2]، أما الفترة الثانية فكانت تحت حكم السوننك الذين كان في وقت سابق عبيد لدى الملوك الأوائل[3]، ودام حكمهم إلى أن سقطت بعدما عاشت أزهى عصورها على يد أقوى ملوك الصوصو، بعدما فرض السيطرة على العاصمة كومبي صالح سنة 1203م[4]، وترجع شهرة مملكة غانة لسيطرتها على مناجم الذهب والملح حسب **ابن حوقل: "سيطرت على مناجم الملح في الشمال ومناجم الذهب في الجنوب ولذى سمي ملوكها بملوك الذهب"**[5].

ب- مملكة مالي (1230-1430م):

أطلق عليها اسم "ملل" كما هو عند البكري[6]، أما القلقشندي، فقال عنها: "**مالي بفتح الميم وألف بعدها لام مشددة مفتوحة وياء مثناة تحت في الآخر، وهي المعروفة عند العامة ببلاد تكرور**"[7]، والصحيح أن التكرور هو أحد الأقاليم التي خضعت لسيادة مالي[8].

ويذكر ابن خلدون أن مملكة مالي شملت خمسة أقاليم كل منها مملكة بحد ذاته، وهي: إقليم مالي يتوسط أقاليم المملكة، إقليم صوصو يقع إلى الجنوب من إقليم مالي، إقليم غانة يقع شمال إقليم

---

[1]- أحمد الشكري، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230-1430م**، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات المتحدة العربية، ط 1، 1420هـ/1999م، ص 129.

[2]- عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان**، طبعة هوداس، باريس، 1981، ص 9.

[3]- مال كول، **الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة**، ترجمه مُحَمَّد حمداوي، الدار البيضاء، ص 53، 56.

[4]- نور الدين شعباني، "دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء (بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة الحادي عشر والخامس عشر للميلاد)"، دورية كان التاريخية، ع 14، ديسمبر 2011، ص 47-53.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

[6]- أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، 1997، ص 17.

[7]- القلقشندي، المصدر السابق، ص 282

[8]- الدالي الهادي المبروك، المرجع السابق، ص 50.

مالي ويمتد حتى المحيط الأطلسي، إقليم كوكو يقع شرق إقليم مالى، وإقليم التكرور يقع غرب مالى حول نهر السنغال وقاعدته مدينة التكرور[1].

وتمتد مملكة مالي على أحد فروع النيجر في مسافة نحو ثلاثمائة ميل[2]، وتغطي بذلك مساحة شاسعة ذهب تمتد شمالا إلى جنوب المغرب الأقصى، غربا إلى المحيط الأطلسي وشرقا إلى حدود مملكة البرنو، وحاليا تشمل: دولة مالي الحالية وأعالي السنغال الشرقي، وشمال فولتا العليا والبنين والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا[3].

وتمتعت بأراضي فلاحية خصبة وثروات معدنية، سمح لها بالقيام بمبادلات تجارية تعدت إلى قارات أخرى ومراكز تجارية جيدة وآمنة، مثال ولاته وجني كلها معطيات جعلتها تعيش أزهى عصورها[4]، شهدت استقرار وأمن وأمان كل من دخل إليها أو خرج منها وهذا ما أكده ابن بطوطة، صياغ قوله: **"اكتريت دليلا من مسوفة إذ لم أكن في حاجة السفر رفقة أحد لأمن تلك المنطقة"**[5]. **المنطقة"**[5].

ج- مملكة صنغاي:

تعتبر مملكة سنغاي من أقدم ممالك نهر النيجر، ويوجد تضارب حول تسمية مملكة سنغاي أحيانا بإمبراطورية جاو/غاو، وأحيانا سميت بلاد كوكو، وبالرجوع للخرائط الجغرافية في العصور الوسطى نجد أن كلا من كوكو وغاو رقعتان جغرافيتان مختلفتان تتقربان مع بعضهما، فالوصف الجغرافي لكوكو الذي ذكره الجغرافيون لا يتطابق مع الموقع الجغرافي لغاو مع العلم أن تسمية غاو لم يتم ذكرها عند الجغرافيين ماعدا حسن الوزان ذكرها باسم كاغو. وكلمة سنغاي/صنغاي/سونغاي يراد بها

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص 415.

[2]- الحسن مُحَمَّد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج 2، تر: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص 164

[3]- الدالي الهادي مبروك، المرجع السابق، ص 50.

[4]- أحمد الشكري، المرجع السابق، ص 172.

[5]- ابن بطوطة، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج 1، تح: عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ص 703.

الشعب والمنطقة معا، وبلاد سنغاي تبدأ من شمال منحنى نهر النيجر في الجزء من النهر الذي يتجه نحو بحيرة ديبو (Débo) عند مصب نهر بينين كبي في نيجيريا إلى غاية منطقة كوكيا عند انحاء نهر النيجر مرورا بمنطقة داندي القديمة، قاعدة ملكهم الأولى هي كوكيا ثم انتقلت لمدينة كوكو[1].

حدد الباحثون المرحلة الأولى من تاريخ سنغاي ببداية القرن السابع قبل الميلاد أو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وهناك اختلاف في تحديد زمن وصول قبائل سنغاي إلى حوض نهر النيجر بين من يذكر القرن الرابع الميلادي والقرن الخامس الميلادي والقرن السابع الميلادي، أو القرن التاسع الميلادي، وقيل بأنها تأسست في القرن السابع للميلاد من قبل شعب سنغاي[2].

وهي قبيلة سكنت في السنوات الأولى من الميلاد ضفاف نهر النيجر، امتهن سكانها صيد السمك والزراعة، وكانت عاصمتها جوغو، وفي المرحلة الثانية من تاريخ سنغاي حكمتها عائلة **ضياء** في الأول وكانت عاصمتها كوكيا وحكت البلاد لغاية القرن 5هـ/11م، وتأسست المملكة الثالثة لسنغاي سنة 735هـ/1335م بعد أن دب الضعف في أرجاء مملكة مالي تمكنت شعوب السنغاي بزعامة علي كُولنْ من التخلص من سلطان مالي، وتوجيه ضربات لمالي في عهد ملكها ماري جاطة الثاني، مما فتح المجال أمام المملكة السنغية الجديدة لتوسيع حدود مجالها، فتمكن علي كولن مع أخيه سليمان نار من الهرب من مالي، ودخل علي كولن غاو ونصب نفسه ملكا على سنغاي وتلقب بـ"سُن علي أو بر علي"، وتمكن من الاستيلاء على باقي أقاليم مالي وحاصر مدينة جني سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، كما ذكره عبد الرحمن السعدي[3].

وحكمت أسرة **سني** ما بين سنوات 1335-1493م، وبعد استقلالها نهائيا عن مالي عاشت أزهى أيامها في عهد **علي بير الكبير** الذي قام بتوسيع امبراطورية[4]، أما المرحلة الرابعة من تاريخ

---

[1]- نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص 60.

[2]- عثمان برايما بارى، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين للطباعة، القاهرة، ط 1، القاهرة، ص 41

[3]- السعدي عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 14.

[4]- مبروك مقدم، **الإمام مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، تق: الشيخ باي بلعالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 46-47.

سنغاي حكمتها أسرة أسكيا ما بين سنوات 1493-1591م، وكان الأسكيا مُحَمَّد الكبير (899-935هـ/1439-1528م) أول حكامها، وحكم من بعده تسعة ملوك، وفي أواخر القرن السادس عشر تردت سياسيا بسبب نشوب نزاعات على الحكم، وتم القضاء نهائيا من طرف السعديين المغربية سنة 1591م[1].

مثلت الممالك السودانية في العصر الوسيط مثل غانة مالي سنغاي، مراكز حضارية وتجارية بارزة في غرب القارة، أسهمت في ازدهار التجارة، خاصة تجارة الذهب والملح والرقيق، وكانت صلة وصل بين افريقيا والعالمين العربي والإسلامي، مما منحها دورا مهما في التاريخ الإقليمي والدولي لتلك الحقبة.

رابعا: تاريخ تجارة الرقيق

1- تعريف الرق لغة واصطلاحا:

أ- لغة: الرق هو العبودية، الرق: رقا ورقة؛ الحر: صار رقيقا، استرق الشيء ضد استغلظ[2]، الرقيق: المملوك بين الرق بالكسر[3]. ويقال عبد الرقيق وعبيد الرقيق، ويقال للأنثى أيضا[4]

ب- اصطلاحا: عرفه الفقهاء بأنه "عجز حُكمي يصيب من يقع في حرب مشروعة"[5]، وعرفه الشريف الجرجاني بأنه "عبارة عن عجز حكمي شرع في الأصل جزاء عن الكفر، أما "أنه عجز": فلأنه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما، وأما أنه حكمي: فلأن العبد قد يكون أقوى في الأعمال من الحر حسا"[6].

---

[1]- عثمان برايما بارى، المرجع السابق، ص 47

[2]- سعدي أبو الحبيب، **القاموس لغة اصطلاحا**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1958م، ص 151.

[3]- فيروز الآبادي، **القاموس المحيط**، مج 1، مر: أنس مُحَمَّد الشامي وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ص 662.

[4]- بطرس البستاني، **محيط المحيط**، مج 1، د.ت، ص 346.

[5]- عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه وحاضره**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص 32.

[6]- علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة**، تح ود: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص ص 96-97.

والرق هو النظام الذي يسمح لشخص ما أو جماعة من تقييد حرية فرد أو أفراد يطلق عليهم الرقيق، ويتم إجبارهم على ممارسة عمل أو تقديم خدمات، ويعتبر الرقيق ملكا شرعيا لذلك الشخص الذي يتصرف به كما يشاء ضمن حدود متعارف عليها"[1]، وتعددت المصطلحات التي أطلقها العرب على الرقيق نذكر منها الرقيق السود الذين أطلق عليهم المقري اسم "الزنج"[2].

2- جذور تجارة الرقيق بإفريقيا:

تعود جذور تجارة الرقيق في إفريقيا لفترات مبكرة من التاريخ، حيث مارست العديد من المجتمعات الإفريقية أنماطا محلية من الاسترقاق لأغراض اجتماعية واقتصادية، وجرت هذه الممارسات ضمن الأطر القبلية والإقليمية دون امتداد واسع إلى الخارج، وساهم البربر في فترة الاحتلال الروماني في هذه التجارة مع التجار الأفارقة، ومع دخول العرب مع الفتح الإسلامي للمنطقة توسعت هذه التجارة أكثر، لأن الرقيق كان أحد أهم السلع التجارية منذ أقدم العصور، وكانت بلاد السودان الغربي أحد أهم مصادره إلى شمال أفريقيا ومناطق حض البحر الأبيض المتوسط[3].

أ – تجارة الرقيق في بلاد المغرب:

ظهرت تجارة الرقيق ببلاد المغرب قبل العصور الوسطى أي في العصور القديمة، حيث أسهمت العوامل الجغرافية والتاريخية في تشكيل بنية أولية لهذه الظاهرة، وتشير الشواهد الأثرية والتاريخية إلى أن هذه التجارة كانت حاضرة في العهد الروماني، حيث استخدم العبيد السود في الزراعة واستغلال المناجم خاصة بوليلي وطنجة، ويشير فريد عبد الرشيد مهندس في قوله: **"كانت بدايتها واضحة في**

[1]- منصور أحمد أبو خمسين، استرقاق الأسرى وأثر ذلك على العلاقات بين دول المغرب وأوروبا خلال القرن الثامن عشر، مجلة العصور، دار المريخ، لندن، مج 7، ج 1، يناير 1992م/ رجب 1412هـ، ص 56.

[2]- أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهواس، طبعة المحمدية فضالة، 1400هـ/ 1980م، ج 5، ص 142.

[3]- عبد الرحمن قدوري، **المبادلات التجارية بين بلدان المغرب ومنطقة غرب إفريقيا بين القرنيين 10 و11م/ 16 و17م ودورها في ترسيخ الثقافة الإسلامية**، أطروحة دكتوراه علوم تخصص تاريخ حديث، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم التاريخ، 2018/2017، ص 207.

بلاد المغرب تعود إلى زمن الاحتلال الروماني[1]"، فقد كان التجار العرب ينتقلون إلى الأسواق الرومانية من أجل جلب العبيد السود خاصة من مناطق السواحل الشرقية الإفريقية، وقد كثر الطلب عليه بسبب رخص ثمنه إضافة إلى تحملهم المشقة ووفرته في الأسواق[2].

ب- تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي:

إن جذور تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي ترجع إلى ما قبل العصر الوسيط، أين كانت ممارسات الاسترقاق جزء أصيل من النظم الاجتماعية والسياسية في المنطقة، فمارستها المجتمعات الإفريقية منذ العصور المبكرة، وكان أبرزها استرقاق أسرى الحروب والغارات القبلية، وهي ممارسات ترسخت بفعل الصراعات المستمرة بين القبائل، وفي هذا الإطار يقول تقي الدين عارف الدوري وخولة شاكر: "الرق كان معروفا عند الأفارقة وكانوا يسترقون بعضهم البعض منذ وقت مبكر منذ فجر التاريخ، وفي حالة حدوث حرب يسترق المنتصر أسرى المهزوم"[3].

وتشير عايدة موسى إلى أن ظاهرة الرق لم تكن جديدة على الأفارقة، فقد اشتغلت المجتمعات الإفريقية منذ قرون مضت بتجارة العبيد السود عبر الصحراء الكبرى من غرب إفريقيا إلى أوروبا الرومانية والشرق الأوسط، لكنها لم تكن منظمة، والهدف الأساسي منها تزويد أمم البحر الأبيض المتوسط التجارية بجنود وخدم البيوت والعمال الزراعين، وفي داخل إفريقيا نفسها وجد الرق منذ زمن بعيد في اطار الخدمة الشخصية لفترة محدودة اكثر منه العمل مدى الحياة[4].

---

[1]- فريد عبد الرشيد مهندس، **تجارة الرقيق بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال عصري المرابطين والموحدين 448-668هـ/ 1056-1296م**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1441هـ/2020م، ص 29.

[2]- علي كسار غدير الغزالي، الجذور التاريخية لظاهرة الرق عند الشعوب القديمة وعرب الجزيرة قبل الإسلام (دراسة مقارنة)، دراسات تاريخية، ع 5، 10 ديسمبر 2013، ص 92.

[3]- تقي الدين عارف الدوري وخولة شاكر الدجيلي، **تاريخ المسلمين في إفريقية**، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2014، ص 124.

[4]- عايدة العزب موسى، **تجارة العبيد في إفريقيا**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م، ص 55.

3- موقف الإسلام من الرق:

حصر الإسلام مصدر الرق المشروع بشرطين أساسين أحدهما أن تكون حرب قانونية، والآخر أن يكون القتال مع القوم الكافرين[1]، كما وضع عدة قواعد لإنصاف الرقيق ومساواته لأحرار في عدة أمور وحث على الإحسان والرفق بهم[2]، منهم العتق والفداء وضيق مصادر استرقاق أقام شرعيته على الحرب فقط، ووسع ويسر الخروج منه[3]. ومن العتق في الإسلام أن يتفق العبد مع سيده على عتقه مقابل مبلغ مالي[4]، ومن الأدلة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**﴾[5]، وعمل الإسلام على إبطال هذه الظاهرة في زمن كان الرق عرفا ونظاما عالميا معتمد عليه، بل كان أحد أعمدت اقتصادها، حيث كان الرق يقوم بدور الإنتاج[6].

4- موقف الأفارقة من الرق:

انقسم موقف الأفارقة بين مؤيد ورافض للرق حيث لم يكن الجميع على نفس الرأي تجاه هذه الظاهرة، ومارست الشعوب الأفريقية تجارة الرقيق عبر العصور، وكانت جزء من التقاليد الاقتصادية والاجتماعية السائدة[7]، ولا شك أن عددا من الأفارقة شاركوا وتعانوا بفعالية مع تجار العبيد في إفريقيا إفريقيا وساهموا في عمليات البيع والنقل[8]، وكان الحكام يأخذون الرجال لاستخدامهم في البلاط الملكي[9]، كعبيد سواء من الحرب أو الأسواق الأسبوعية في منطقتهم، وكما كانوا يرسلون الرقيق كهدايا

---

[1]- أحمد شفيق بك، **الرق في الإسلام**، ترجمه: أحمد زكي، المطبعة الأهلية، ط 1، 1892م، ص 57.

[2]- الشنقيطي مُحَمَّد أمين، **نظام الرق في الإسلام**، دار الصفا، الزقازيق، مكتبة الأوس، المدينة المنورة، ص 36.

[3]- عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق، ص 32.

[4]- أحمد شفيق بك، المرجع السابق، ص 102.

[5]- سورة النور، الآية 33.

[6]- عبدا لله ناصح علوان، **نظام الرق في الإسلام**، دار السلام، جدة، 2003، ص 17.

[7]- أحمد منصور، المرجع السابق، ص56.

[8]- عايدة عزب موسى، المرجع السابق، ص 227.

[9]- بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة الهادي أبو لقمة ومُحَمَّد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988م، ص 11.

كهدايا لسلاطين آخرين، ومن ذلك هدية الأسكيا للسلطان المغربي تضمنت ثمانين من العبيد[1]، ورحلة ملك مالي منسا موسى إلى الحج وعدد العبيد الذي رافقه، ورحلة ابن بطوطة مع قافلة التي ضمت 600 امرأة من الرقيق الخارجة من السودان دليل على مساهمتهم في تجارة الرقيق[2]، ومن جهة أخرى كان ملوك السودان يوفرون الأمن للقوافل التجارية، ويفرضون ضرائب عليها مقابل المرور بأراضيها[3]، وكان بعض الملوك يعتقون العبيد لوجه في فترة انتشار الإسلام مثل ما كان يفعل ملك مالي[4].

ومع ذلك عبر بعض الأفارقة عن رفضهم لهذه الظاهرة خاصة العلماء والفقهاء منهم كأحمد بابا التمبكتي الذي عبر عن رفضه لهذه الظاهرة خاصة مع العبيد المسلمين ودعا إلى المكاتبة[5]، ونازلته ونازلته "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان" التي رد فيها على نازلة تجار توات حول عبيد السودان وضح فيها التأطير الفقهي والشرعي لمسألة جلب وبيع عبيد السودان، وخل بلاد السودان فتحت سلما أو عنوة، وهل الكفر في الأصل هو المعيار الشرعي الوحيد[6].

وأقر الفقيه أحمد بابا التنبكتي بمعيار الكفر كضابط لتمييز القبائل التي يجوز استعبادها، وأكدت زوليخة بنرمضان ضرورة استحضار التقاليد المحلية لبلاد السودان فيما يخص العبودية، لأن الإسلام والوثنية ظلا متلازمين لزمن طويل جدا، لذا استدرك التنبكتي المسألة بالاحتكام إلى أقوال

---

[1]- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، ص ص 340- 341، ص 329.

[2]- بوفيل، المرجع السابق، ص ص 157- 172.

[3]- السعدي عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 7.

[4]- فريد عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 69.

[5]- أحمد بابا التنبكتي، **معراج الصعود**، تح: فاطمة الحراف وجون هانويك، منشورات معهد الدراسات، ط1، 2000، ص 52- 53.

[6]- زوليخة بنرمضان، **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10هـ/ 11 و16م**، ج 1، منشورات وزارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط 1، 1436هـ/2015م، ص ص 321-322.

الفقهاء الذين جعلوا من شرط الكفر غير قار كالفقيه أبو الأصبغ بن سهل وسحنون وابن لبانة وابن زرب ومخلوف البلبالي وقضاة فاس[1].

وخلاصة لما سبق ذكره، يتضح لنا من خلال المدخل أن بلاد السودان الغربي بما تمتلكه من موقع جغرافي استراتيجي وتنوع اثني وثقافي، شكلت محورا أساسيا في التفاعلات التاريخية والاقتصادية داخل قارة إفريقية، وقد أسهمت المعطيات الطبيعية والبشرية في نشوء شبكات تجارية فعالة، كانت تجارة الرقيق من أبرز مكوناتها، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة لم تقتصر على فترات الاتصال بالعرب أو الأوروبيين، بل ارتبطت أيضا بممارسات سابقة لدى بعض الأمم الإفريقية، مما يعكس عمقها التاريخي وتعقيدها البنيوي ضمن سياق المنطقة.

[1]- المرجع نفسه، ج 1، ص ص 323-324.

الفصل الأول

الممالك السودانية وشبكات تجارة الرقيق في السودان الغربي

المبحث الأول: دور الممالك السودانية واليهود في تجارة الرقيق

أولا: دور الممالك (غانة، مالي، سنغاي)
ثانيا: أصناف العبيد في بلاد السودان الغربي
ثالثا: دور اليهود

المبحث الثاني العلاقات التجارية مع العالم الخارجي

أولا: مع المغرب الإسلامي
ثانيا: مع المشرق الإسلامي
ثالثا: مع الأوربيين

المبحث الثالث: طرق تجارة الرقيق وشبكاتها

أولا: الطرق والمسالك التجارية
ثانيا: المراكز التجارية
ثالثا: مصادر جلب العبيد

المبحث الأول: دور الممالك المحلية واليهود في تجارة الرقيق

عرفت بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط انتعاشا كبيرا في تجارة الرقيق، فقد كان للممالك السودانية كغانة ومالي وسنغاي دور رئيسي في تنظيم هذه التجارة، وتأمين طرق القوافل العابرة للصحراء، لأن تجارة الرقيق مصدر مهم لثروتها وقوتها، وعمل بعض التجار اليهود الذين نشطوا في المناطق الحدودية بين السودان الغربي وبلاد المغرب الإسلامي، كوسطاء وممونين للقوافل التجارية، وساهموا في ربط الأسواق الإفريقية بالأسواق المتوسطية مما جعلهم جزءا من شبكة معقدة لتجارة البشر في تلك المرحلة.

أولا: دور الممالك السودانية:

عرفت بلاد السودان الغربي قيام عدة ممالك ودول سودانية خلال العصر الوسيط، وإن اختلف مفهوم الدولة عندهم عما عهدناه في بلاد الغرب الإسلامي أو بلاد المشرق الإسلامي، وهذا راجع لخصوصيات المنطقة.

1- دور مملكة غانة:

تعتبر ملكة غانة من أولى الممالك السودانية التي ظهرت بغرب القارة، فهي أول مملكة أفريقية امتد عمرها منذ سنة 300م لغاية القرن 5هـ/11م، وإذا كنا نجهل الشيء الكثير عن أصولها التاريخية؛ فالكتابات العربية هي التي استطاعت أن تنتشلها من المجهول[1]، فكانت بذلك تجربة مخضرمة في المرحلة الأولى كانت مملكة وثنية وفي الثانية مملكة إسلامية.

وساهمت مملكة غانة في التجارة العابرة للصحراء فكان لها دور الوسيط في العلاقات التجارية مع بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي، بسبب موقعها الجغرافي الذي جعلها على تخوم بلاد صنهاجة والحدود الشمالية لبلاد السودان، كما أنها سيطرت على أهم مدينة صحراوية وهي

[1]- أحمد الشكري، المرجع السابق، ص 129.

"أودغشت"[1] التي تعتبر محطة كبيرة وسوقا مركزية أساسية، وأدخلتها ضمن مجالها السوداني، إضافة للعدل والأمن الذي عرف به ملوكها مما جلب التجار إليها، فانتعشت وازدهرت الحركة التجارية بها، ومن أهم السلع التي حرص الحكام الغانيون على تشجيعها هي تجارة الرقيق، وذلك بتوفيرهم عن طريق الإغارة على القبائل التي تعيش في الأدغال على الحدود الجنوبية، وعلى القبائل التي تأكل لحم البشر التي تعرف باسم اللملم[2] أو الدمدم عند العرب[3].

ويرى حسين بوبيدي أن المصادر التي كانت قبل الإدريسي أكدت بأن أهم المناطق التي كان يجلب منها العبيد تقع في دواخل المناطق الغربية من بلاد السودان أو في نطاق الغابات الاستوائية؛ وعرفت تلك المناطق بأسماء متعددة: لملم، نمنم، دمدم، بربرة وأمميمة، وأضاف بأن الادريسي أشار أيضا على منطقة زغاوة التي كان يجلب منها العبيد والتي تقع في المسالك الوسطى مما جعل من وارجلان محطة تجمع للعبيد بدلا من سجلماسة[4].

---

[1]- **أودغشت**: تقع أطلالها في منطقة أركيز بإقليم الحوض في موريتانيا، أي بتغداوست حاليا، وتبعد مسافة 34 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة تامشكط بمنطقة الحوض في موريتانيا بالقرب من بئر النوداش، وأودغشت من أولى وأقدم المراكز التجارية التي ظهرت بالصحراء، وأهم مدينة في مجال صنهاجة الصحراء إلى غاية منتصف القرن 5هـ/11م، فنظرا لأهمية موقعها الجغرافي تأسست كمركز تجاري حوالي القرن 1هـ/7م، واستقطبت التجار لأنها عبارة عن واحة تكثر بها المياه والآبار، وحسب الناني ولد الحسين فإن مملكة أودغشت نشأت في بداية النصف الثاني من القرن 2هـ/8م، وبسطت نفوذها على صحراء الملثمين، ونافست النظم السياسية المجاورة لها على فوائد المبادلات التجارية الصحراوية. ينظر: حسين بوبيدي، **محاضرة الحواضر الصحراوية الفاعلة في العلاقات**، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، 2021/2020، منصة التعليم عن بعد، ص 2، الرابط الالكتروني:
https://elearning.univ-constantine2.dz/elearning/course/view.php?id=727 ؛ الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص 184، 187.

[2]- **اللملم**: تقع في الجنوب من بريسي ببلاد السودان بينهما عشرة أيام، أهل بريسي وسلى وغانة يغيرون عليهم ويسبون أهلها، ويسوقونهم إلى بلادهم ويبيعونهم. ينظر: عبد المنعم الحميري، **روض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 511.

[3]- بوفيل، المرجع السابق، ص 152 .

[4]- حسين بوبيدي، **مطبوعة بيداغوجية علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي**، ص 23.

وذكر الإدريسي أن أهل سلا وتكرور وغانة كانوا يغيرون على بلاد لملم ويسبون أهلها ويجلبونهم لبلادهم ليبيعوهم بعدها للتجار الوافدين[1]، ويضيف الحميري أن سكان مدينة غيارو[2] هم من كان يجلب الرقيق من قبائل اللملم "وفي أهلها نجدة ومعرفة فهم على بلاد لملم، ويسبونهم بهم ويبيع لتجار غانة"[3].

وحصلت مملكة غانة على العبيد من هذه القبائل المتوحشة ونقلتهم من أجل بيعهم للتجار في كومبي صالح[4]، وكان ملكها تنكامين[5] الذي ورث خاله بيسي (Béci) يفرض ضرائب ورسوم جمركية على التجار الداخلين والخارجين من المملكة، كما يشير البكري كذلك إلى أن الملك كان قادر على تجهيز مئتي ألف جندي[6] للقتال مما يدل على وفرت عبيد بكثرة في عهده وتوظيفه في الجيش للقتال[7]. للقتال[7].

ومعظم الرقيق الذين كانوا يعرضون في أسواق النخاسة حاليا ينحدرون من شعوب غينيا الغبونية والموسي (Mossé) وجورونسي (Gourounsi) والقبائل الباليونيجريتية في شمال الطوغو والداهومي (البنين) ونيجيريا لوسطى ومندارا (Mandara) وسارا (Sara) وشعوب بحر الغزال، أي البلدان المتاخمة للممالك السودانية، واعتبرت هذه المناطق خزان للرقيق السود تتزود به أسواق العالم المتوسطي والأمريكي لغاية القرن 13هـ/19م[8].

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 19.

[2]- **غيارو**: مدينة تقع على نهر النيجر في أهلها نجدة ومعرفة وهي في طاعة ملك غانة بينها وبين غانة إحدى عشر مرحلة، كانت مركز مهم في جلب الرقيق. ينظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1، ص 26.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص 427.

[4]- إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، ص 7

[5]- **الملك تنكامين**: ابن أخت الملك بسِّي ملك غانة ووريثه، عرف ببأسه وشدته في الحكم. ينظر: أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، ج 1، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ /2003م، ص 363.

[6]- المصدر نفسه، ج 1، ص 363.

[7]- فرح سعد، المرجع السابق، ص ص 32-33.

[8]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 150.

2- دور مملكة مالي الإسلامية (627-833هـ/1230-1430م):

لم تكن مظاهر في مملكة مالي مجرد انعكاس لغناها الذهبي أو اتساع سلطانها، بل ظهرت بوضوح في قدرتها على توظيف أعداد هائلة من الرقيق في خدمة بلاطها ومواكب ملوكها حتى بات العبيد أحد رموز الهيبة الملكية، ويصف ابن خلدون مشهدا مهيبا لملك مالي المنسا موسى (712-737هـ/1312-1337م)[1] أثناء توجهه إلى الحج سنة 724هـ/1324م، قائلا: **"من الوصائف الخاصة اثنا عشر ألفا لابسات أقبية الديباج والحرير اليماني"**[2]، في استعراض لا يقصد به الزينة فحسب بل تأكيد على السلطة والسيطرة، لأن هذا العدد الضخم لم يكن من الأحرار بل من الرقيق الذين جمعوا من مختلف أنحاء السودان الغربي، وشكلوا ركيزة أساسية في البنية الاقتصادية والاجتماعية للدولة، ما يعكس مدى اعتماد مملكة مالي على الرقيق واستغلالهم في ترسيخ هيبتها السياسية[3].

كما أولى حكام مالي أهمية قصوى لتأمين طرق التجارة إدراكا منهم بأن الاستقرار يعد شرطا أساسيا لازدهار النشاط الاقتصادي، لذا عملت السلطة المركزية على فرض رقابة صارمة على المسالك التجارية المنطلقة والمارة بأراضيها؛ ونصبت نقاط مراقبة بهدف تنشيط التجارة[4]، وأشار ابن بطوطة بدوره إلى هذا المناخ الآمن، بقوله: "...**ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق وغاصب**"[5]، مما يدل على نجاعة النظام الإداري في حفظ النظام والتأمين التجاري.

وهو ما جعل مالي إحدى أبرز القوى الاقتصادية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط خاصة في عهود الملوك الأقوياء مثل المنسى سوندياتا كايتا والمنسى موسى والمنسى سليمان. وقد أشار

---

[1]- **المانسا موسى (712-737هـ/1312-1337م)**: من أشهر ملوك مالي وأكثرهم عسكرا وأشدهم بأسا وأعظمهم مالا وأحسنهم حالا، وأقهرهم للأعداد، وأقدرهم على إفاضة النعماء. ينظر، العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، السفر الرابع ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب**، ج 4، تحقيق أحمد حمزة عباس، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، 1423هـ/2002م، ص 108.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، ج 1، ص 268.

[3]- إبراهيم علي طرخان، **دولة مالي الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص 79.

[4]- بطل شعبان، **الحرب والمجتمع في السودان الغربي**، ص 238.

[5]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 265.

هوبكنز إلى أن طرقات كانت تعاني من نهب الطوارق للطرق التجارية[1]،لذا كلف منسى موسى قائده ساران مانديان بإخضاع الطوارق وتأمين الطرق التي أصبحت عرضة لتحكم للقبائل الصنهاجية[2]، أدى توفير الأمن الى تنظيم حركة القوافل بين مدن الإمبرطورية من جهة وامبراطوريات المجاورة جهة اخرى كل جهات شمالا وجنوبا[3].

3- دور مملكة سنغاي في عهد الأساكي (777-1000هـ/1375-1591م):

عمل الأسكيا مُحَمَّد الكبير (899-935هـ/1439-1528م) على دعم اقتصاد مملكة سنغاي، فاهتم بتنشيط التجارة وتنظيم الأسواق، وضبط الأسعار وتأمين طرق القوافل؛ كما خفض الضرائب لتشجيع التجار، مما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية وزيادة ثروة المملكة[4].

واشتهرت المملكة بتجارة الرقيق وساهمت بتوفره في الأسواق وذلك بتنظيم الغارات ضد المجتمعات المجاورة لهم لتوفير الأسرى، مما أسفر عن كثرتهم في الأسواق وانخفاض أُثمانهم[5]، لتأمين الطرق الطرق التجارية وحماية القوافل التي كانت تمر عبر مملكته، أنشأ مواكب خاصة من الحراس مهمتهم مراقفة القوافل وحمايتها من اللصوص والغزاة؛ كما نظم دوريات مراقبة منتظمة على الطرق التجارية الرئيسية، مما ساعد على تعزيز مكانة المملكة كمركز تجاري مهم في المنطقة[6].

---

[1]- أ.ج هوبكنز، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998، ص 169.

[2]- حماه الله ولد السالم، **تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا من العصور القديمة إلى حرب شرّبُبهْ الكبرى بين أولاد الناصر ودولة إبدُّوكل اللمتونية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ص 182.

[3]- عبد الرحمن مُحَمَّد ميغا، **الحركة الفقهية و رجالها في السودان الغربي من القرن 8 الى القرن 13الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2011م، ص 18.

[4]- حسن سيد عبد الله مراد، مملكة صنغاي، مجلة قراءات تاريخية، ع 13، سبتمبر، 2012م، ص 18.

[5]- بطل شعبان غريان، المرجع السابق، ص 248.

[6]- رشيدة السعيدي، الممالك الاسلامية في غرب افريقيا إمبراطورية سنغاي الاسلامية نموذجا (النشأة والتطور)، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج 2، ع 1، جوان 2018، ص 179.

ثانيا: أصناف عبيد السودان الغربي:

إن ظاهرة العبودية معروفة منذ القدم لدى جميع مجتمعات وشعوب شمال إفريقيا منذ العهد البيزنطي، لكن كظاهرة في بلاد السودان الغربي لها خصوصيتها التي ميزتها عن غيرها، لذا نجد اختلاف في تصنيف العبيد في السودان، لدى الفقهاء كأحمد بابا التنبكتي في فتواه المشهورة "معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود" ميزت بين ثلاث أصناف من العبيد عبيد بالأسر وعبيد بالخلقة وعبيد بالوثنية؛ أما الروايات المحلية السودانية ميزت بين صنفين من العبيد: عبيد بالمتاجرة وعبيد البيوت؛ وهؤلاء لا يمكن المتاجرة بهم أو التنازل عنهم، وهم الفئة هي التي كانت موضع جدل بين العلماء وملوك سنغاي من جهة وبين التجار المغاربة والفقهاء السودانيين من جهة؛ ويضاف لهم العبيد بسبب الديون: وهم رجال أحرار عجزوا عن دفع ديونهم فيتم استعبادهم[1].

1- عبيد القصر:

وهم الذين يشتغلون في قصور ملوك غانة ومالي وسنغاي، ذكر البكري أن هؤلاء العبيد "الغلمان" اشتغلوا في قصر ملك غانة، وعند وفاته يتم دفنهم أحياء إلى جانب رفاته[2]، كما وجدوا في قصر حكام مالي وعرفوا باسم "بولا" (Boula)، وذكر السعدي أن المنسا موسى كان يصحبه "إذا ركب خمسمائة عبد"[3]، أما في مملكة سنغاي فقد عرف عبيد القصر باسم "بيت المال"، مهمتهم حراسة نساء القصر وجواريه كما ذكره الحسن الوزان[4].

وتصنيف "عبيد البيوت" يظهر أكثر وأوضح خلال القرن 10هـ/16م مع التقسيمات التي قدمها لنا محمود كعت، فهو الذي أعطى لنا أسماء القبائل المستعبدة منذ حكم أسرة كايتا، كما يفيدنا بأنه تم أسر أربع عشرة قبيلة مغلقة أيام حرب صنغاي مع مملكة مالي، وكل قبيلة منها اختصت بحرفة معينة؛ منهم ثلاث قبائل من البمبارا الوثنيين استعبدوا أثناء حكم مملكة مالي واختصوا بخدمة

[1]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 307.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص 364.

[3]- السعدي، المصدر السابق، ص 7

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 169

القصر، أما القبيلة الرابعة "جندكت" تعود لعهد أسرة سني مهمتهم قطع الحائش للأفراس، وصناعة المراكب لصغار أبناء الحكام، والقبيلة الخامسة "قرى الزناجية"، والقبيلة السادسة "أربي" نسائهن يقمن بالأشغال المنزلية ورجالهم بالمهام الزراعية، وأولادهم يشتغلون كجند خاص يرافقون الملك في حروبهم، وبعضهم يكونون رسله[1]، وبقية القبائل الخمس "جم تين، جم ول، سربني، سمشاك، كم" من أصل فولبي ماسيني؛ اشتغلوا فيما بعد كحدادين، أما القبيلة الثانية عشر تسمى "كرنكي"[2].

2- عبيد الخواص:

يتم الحصول عليهم إما عن طريق الشراء أو الإهداء أو الأسر من قبل الحكام والعلماء والتجار كما نجدهم لدى العامة، عرفوا باسم "ديون" (Dion) في مالي وباسم "بانيا" (Bania) في سنغاي[3].

ثالثا: دور اليهود

كان للوسطاء التجاريين دور مهم في عملية المبادلات التجارية بين ضفتي الصحراء، ويعتبر اليهود أحد الضالعين بها منذ القرن 2هـ/8م بحثا في البداية عن الذهب[4]، ثم تجارة الرفاهيات والرقيق، فتمركزوا في الحواضر المغربية وتملكوا مجموعة من القصور الصحراوية وكانت توات أحد أهم مراكز تجمعهم[5]، إضافة للسيطرتهم على الطرق التجارية، وعلى بأسواقها كمدينة إفرن بالأطلس الداخلي إلى بلاد السنغال وكذا إقليم جادو، وساهم اليهود في هذه التجارة عن طريق المبادلات التجارية بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي؛ فقد كان أغلب حرفيو المغرب يهود يجيدون صناعة الفضة وغيرها

---

[1]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص ص 311-312.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 327

[3]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 313.

[4]- أحمد مولود ولد أيدّه الهلال، **مدن موريتانيا العتيقة قصور ولاته وودان وتيشيت وشنقيط**، تق عبد الودود ولد الشيخ، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي الرقراق للنشر والتوزيع، الرباط، 2014، ص 218.

[5]- أماني قطب، **طريق الذهب في الصحراء الكبرى الإفريقية ودوره الحضاري منذ القرن (2هـ/8م) حتى القرن (10هـ/16م) دراسة تاريخية**، تق: مُحَمَّد أحمد مُحَمَّد بديو، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2022م، ، ص ص 148-149.

والتي كانت تصدر غلى السودان مقابل الحصول على الرقيق[1]، فبفضل تموقع اليهود في المدن التجارية وكانوا بمثابة حلقة وصل بين بلدان المتوسطية وخاصة أوروبا والسودان الغربي من خلال توفير السلع[2]، ويعني كان لهم الدور في تصدير السلع إلى أوروبا ومنها الرقيق، كما عمل اليهود في الشركات التجارية كعائلة **التاهرتي** في مجال الفندقة لأنها نزل للتجار من كل الجهات[3].

وحسب زوليخة بنرمضان فإن النصوص التاريخية تفيد بأن مجموعات يهودية تخللت منذ ما قبل القرن الثاني الهجري/8م معظم الشريط الصحراوي الجنوبي في توات وجورارا ووراجلان والجريد وتوزر ونفزاوة ومطماطة ونفوسة وغدامس وغيرها، وتوزعت جغرافيا وفق توزع الإمارات الخارجية التي كانت تشكل نقط تجميع السلع لإعادة تصديرها، فكان لهؤلاء اليهود علاقات بالمدن الكبرى في الشمال كفاس وتلمسان وبجاية وغيرها، أين كانت تصل البضائع السودانية فيحول بعضها لمواد قابلة للاستعمال وبعضها يتم إعادة تصديره، ومع القرن الثامن الهجري/14م زاد حجم تواجد اليهود في المدن الواقعة على حافة الصحراء خاصة بسوس ودرعة، اشتغلوا بالرعي واستخراج النحاس والحديد والفضة وصناعة الحلي، وخلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/14 و15م ازدهر النشاط التجاري والحرفي لليهود بتوات بسبب انتعاش ونشاط الطري التجاري تلمسان-توات-النيجر، والاستقرار والأمن بالسودان أثناء حكم مالي وسنغاي لغاية اصدار عبد الكريم المغيلي لفتواه المشهورة بخصوص يهود توات سنة 844هـ/1492م والتي عرفت نقاشات بين الفقهاء بين مؤيد ومعارض[4]، فأحمد بابا التمبكتي كان يرى بأن العبيد الأفارقة إذا كانوا مسلمين لا يجوز استرقاقهم ولا بيعهم[5].

---

[1]- فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14-15ميلادي**، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 1432هـ/ 2011م، ص 220، 224.

[2]- بطل شعبان غرياني، دور اليهود في التجارة عبر الصحراء خلال العصر الإسلامي بين الادعاء والحقيقة التاريخية، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، ع 28، جانفي 2023م، ص ص 646-647.

[3]- حسنات عوض ساتي، اليهود في شمال إفريقيا في العصور الوسطى، لمحة تاريخية، مجلة الراصد، ع 4، أوت، 2008م، ص 8.

[4]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ص ص 332-335.

[5]- أحمد الحمدي، تحديد وضعية عبيد توات من خلال "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان" لأحمد بابا التنبكتي، مجلة الحضارة الإسلامية، مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، ع 23، رمضان 1435هـ/جويلية 2014، ص 175.

كان لليهود دور مهم في تجارة الرقيق فيما ذكر ابن سعيد المغربي[1]، وكان لهم سوق باسمهم في القيروان يعرف باسم سوق اليهود للبيع والتبادل إضافة إلى معرفتهم للطرق التجارية الصحراوية المؤدية للسودان الغربي من خلال العيش مع السكان الصحراويين ومجاورتهم للسودان[2]، فبرز دور اليهود في تجارة الرقيق عبر شبكاتهم التجارية التي امتدت في الصحراء حيث كانوا وسطاء بين السودان الغربي والدول المتوسطية، ولم يكن دور الوساطة حكرا على التجار اليهود لمنهم أبرز من ترك أثرا بهذا المجال، إذ سيظهر فيما بعد تجار غدامي فيما بعد[3].

يتبين مما سبق أن تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط لم تكن نشاطا معزولا، بل مثلت جزءا من شبكة تجارية واسعة، ساهمت فيها الامبراطوريات المحلية مثل غانة ومالي بدور تنظيمي واقتصادي فاعل، كما اضطلع التجار اليهود بدور مهم في ربط هذه التجارة بالأسواق الإقليمية والدولية، مما رسخ مكانة السودان الغربي كمركز حيوي في حركة التبادل التجاري آنذاك.

[1]- مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، 1990-1991م، ص 144.

[2]- فريد عبد الرشيد المهندس، المرجع السابق، ص 154-155.

[3]- الهلال أحمد مولود ولد أيده، المرجع السابق، ص 220.

المبحث الثاني: العلاقات التجارية مع العالم الخارجي

ساهمت بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط بدور مهم في التجارة الإقليمية، بفضل موقعها الجغرافي وثرواتها الطبيعية، لذا ارتبطت بعلاقات تجارية متينة مع بلاد المغرب والمشرق الإسلامين وأوروبا، مما أسهم في ازدهارها الاقتصادي وتفاعلها الحضاري مع الخارجي.

1- مع المغرب الإسلامي:

شهدت العلاقات بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ازدهارا كبيرا حيث شكلت طرق القوافل عبر الصحراء شريانا حيويا لتبادل السلع بين المنطقتين[1] وقد أشار خالد حسين في كتابه الرقيق والنشاط الاقتصادي بقوله: "**تعددت خطوط التبادل بين الشمال من خيول وملح وأقمشة ومعادن...وسلع على رأسها التبر والعبيد والعاج والمنتوجات الأخرى**"[2].

وكان لهذه المبادلات التجارية دور محوري في تعزيز اقتصاد المنطقتين معا حيث كانت المراكز التجارية سواء المغاربية أو السودانية وحتى الصحراوية، مثل تيهرت وسجلماسة وتمبكتو مراكز استقبال وتوزيع، وقد عبر ابن حوقل وابن خلدون عن حيوية هذه الشبكة، بقولهم: "**بين المغرب وبلاد السودان مفارز...وسالكها في حينه متصل السفر الورود والصدر**"[3]، في إشارة إلى استمرارية التي اتسمت بها الحركة التجارية بين الاتجاهين رغم صعوبة الطبيعية.

وساهم هذا التفاعل التجاري في توطيد العلاقات الثقافية والدينية بين المنطقتين وأدى إلى انتشار الاسلام واللغة العربية في عمق إفريقيا، وقد تجسدت هذه العلاقات التجارية بين السودان في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/776-909م) وغانة حيث شهدت تبادل تجاري، وكذا مع مملكة جاو/كوكو التي ظهرت كمركز تجاري وقوة سياسية في بلاد السودان الغربي، ونمت خلال القرن

---

[1]- للاطلاع على صورة قوافل الرقيق ينظر الملحق: (03)، ص97

[2]- خالد حسين، **الرقيق والنشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط**، الهيئة المصرية، القاهرة، ط1، 2022، ص 141.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 100؛ ابن خلدون، **المقدمة**، ص 58.

3هـ/9م، فحظيت باهتمام الرستميين لذا أقاموا علاقات سياسية وتجارية معها، وساعدها نفوذها السياسي في الإشراف على المسلكين التجاريين الشرقي والأوسط، وكانت كوكو معاصرة للدولة الرستمية التي ضمت ضمن حدودها الأجزاء الجنوبية للمغرب الأوسط والأدنى، لذا كانت أكثر دول المغرب الإسلامي احتكاكا ببلاد السودان الغربي نتيجة لموقعها الجغرافي، ولكثرة المسالك والسبل بينهما[1]، وظهرت معالم هذه العلاقة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (211-240هـ/826-854م) الذي أرسل مُحَمَّد بن عرفة في سفارة إلى ملك كوكو ومعه هدايا؛ فأعجب بها ملك كوكو ومدح السفير[2].

وساعد استقرار الإباضيين على أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسة وغدامس ووارجلان منذ القرن 2هـ/8م في سيطرتهم على تجارة الصحراء[3]، لذا تعتبر الدولة الرستمية أول دول المغرب الأوسط التي أقامت علاقات سياسية واقتصادية مع بلاد السودان، لأنها سيطرت على معظم منافذ الطرق المؤدية إليها، كما أنها امتلكت العديد من القواعد التجارية الصحراوية[4]، فكانت علاقتها وطيدة معهم فعقدت اتفاقيات مع ملوك غانة وكوكو من أجل تزويدهم بالعبيد[5]. وأما القيروان فكانت علاقتهم التجارية بالسودان الغربي موجودة ودليل ذلك كان يطلق على أحد أبوابها زويلة[6]، فقد كان لهذه الأخيرة دور كبير في العلاقات التجارية بين الجهتين، بسبب توسطها بلاد السودان

---

[1]- علاوي عبد السلام ويمينة بن صغير حضري، علاوي عبد السلام ويمينة بن صغير حضري، "دور العلاقات السياسية للدولة الرستمية مع مملكة كوكو في تنشيط الحركة التجارية: سفارة مُحَمَّد بن عرفة أنموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 14، ع 3، 201، ص 402 ، 406.

[2]- ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص 31.

[3]- مُحَمَّد ناصر، **دور الاباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا**، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ص 8.

[4]- مسعود خالدي، "العلاقات التجارية بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي في العصر الوسيط"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلد 6، عدد 3، ديسمبر 2020، ص 44.

[5]- جودت عبد الكريم، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، مكتبة جامعة الامير عبدالقادر، قسنطينة، ص 151.

[6]- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد شمس الدين البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1411هـ/1991م، ص 226.

والإفريقية أول حدود السودان حسب قول الإدريسي[1]. وحاجة بلاد المغرب الإسلامي للرقيق كانت كبيرة، فقد تم استخدامهم كجنود في الجيش، وكخصيان لحراسة الحريم، وإماء للتسري والخدمة، ورقيق لزراعة الأرض، لذا تحمل التجار أعباء نقلهم طمعا في أرباحهم[2].

2- مع المشرق الإسلامي:

شكلت العلاقة التجارية بين السودان الغربي والمشرق الإسلامي خلال العصر الوسيط جزءا من الشبكة التجارية الإسلامية واسعة، وكانت مصر وغيرها من المشارقة يذهبون اليها قاطعين مسافات طويلة بحيث لا يمكن استثناءها وهي بلاد الذهب والرقيق، وكانت سجلماسة أحد المراكز التي يسكنها التجار المشارقة من كوفة والبصرة وبغداد بعائلاتهم وهم في سفر لا ينقطع[3]. فقد كانت تربط بينهم عدة طرق تجارية كطريق من أسوان إلى طريق مالي، وكذلك مركز أسيوط التي كانت أهميتها بكونها رأس الواحات الموصلة إلى السودان فقد كانت تأتيها جمال محملة بالرقيق وغير من صادرات السودان[4].

ويؤكد ابن حوقل هذه العلاقة التجارية بين المشرق والسودان الغربي، بقوله: **"فكان من صادرات طرابلس إلى الشرق الرقيق والغنم والحمير"**[5]، ما يدل على امتداد التجارة من قلب الصحراء الإفريقية حتى أطراف العالم الإسلامي الشرقي فطرابلس كانت ملتقى الطرق التجارية من وإلى مصر، ويحكى أن تجار المشرق كانوا يأخذون الذهب والرقيق والجلود والعاج وفي مقابل يصدرون

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 117.

[2]- مادهو بانيكار، **الوثنية والإسلام: تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية**، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 2، 1998، ص 396.

[3]- عباس علي منشد، الصادرات المصرية الى بلاد السودان الغربي من القرن الخامس حتى التاسع الهجري، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع 45، مارس، 2020م، ص 38.

[4]- شوقي عبد القوى عثمان، **التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك (648-922هـ/1250-1517م)**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2000م، ص 70.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 71.

إلى بلاد السودان الغربي الملح والنحاس الأحمر والتمر والمسابح[1]، ساهمت التجارة في شهرة الأسواق السودانية وغناها بمختلف السلع.

3- مع الأوروبيين:

كانت العلاقة التجارية التي ربطت الأوروبيين وبلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط غير مباشرة في الغالب، تمت عبر وسطاء مغاربة حيث لم تكن هناك اتصالات بحرية وبرية مباشرة بين الأوروبيين والمنطقة الإفريقية في تلك المرحلة، وقد أشار الجغرافي الأصطخري إلى هذه العزلة، بقوله: "**إن بلاد السودان ليس لها اتصال بشيء من الممالك إلا من وجه المغرب**"[2].

وهو ما يبرز بأن المغرب كان المنفذ الوحيد الذي يربط السودان الغربي بالعالم الخارجي، بما في ذلك الأوروبيين وبهذا أصبحت مراكز مثل سجلماسة وفاس ومراكش مراكز صلة الوصل بين أوروبا والسودان الغربي، كما الدكتور خالد حسين في قوله: "**لتتحول مدن المغرب الى مراكز لتجارة الصحراء والمخازن لبضائع بلاد السودان خاصة الذهب والرقيق وإعادة توزيعها شمالا وشرقا**"[3]، مما جعل علاقات تجارية السودانية الأوروبية معقدة بعض الشيء.

واتخذ البرتغاليون خيول المغرب عملة أساسية لاقتناء العبيد الأفارقة، كي يشغلوهم في مزارع السكر التي أنشأوها في الجزر والسواحل الأطلسية التي اكتشفوها، لذا كانوا يقايضون الخيول بالعبيد اثني عشر عبدا مقابل الفرس الواحد وقد يصل الثمن إلى أربعة عشر أو خمسة عشرا عبدا في فترة الأسكيين، وهنا سيظهر تبادل ثنائي جديد عبيد مقابل خيول، وسيزداد أكثر مع امتداد التوسع البرتغالي في غرب القارة؛ وازدياد الطلب الأمريكي ما سيجعل ثمن الخيول مرتفعا وفي المقابل زيادة في قنص العبيد، وهذا ما سيؤثر على البنية الديمغرافية لبلاد السودان الغربي[4].

---

[1]- شوقي عبد القوى عثمان، المرجع السابق، ص 91

[2]- الأصطخري، **المسالك والممالك**، طبعة ليدن، 1927م، ص ص 40-41.

[3]- خالد حسين، المرجع السابق، ص 134.

[4]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص ص 153-154.

وتظهر العلاقات التجارية بين بلاد السودان الغربي والعالم الخارجي خلال العصر الوسيط مدى انخراط هذه المنطقة في شبكات التبادل الإقليمي والدولي، وهو ماساهم في تعزيز ازدهارها الاقتصادي وتفاعلها الحضاري مع محيطها الإسلامي والمتوسطي.

المبحث الثالث: طرق تجارة الرقيق وشبكاتها

كان للطرق التجارية دور أساسي في حركة التبادل الاقتصادي والاجتماعي بين مناطق السودان الغربي ومحيطه الاقليمي، حيث شكلت هذه الطرق سواء البرية أو النهرية شرايين الحياة التجارية التي ربطت بين الحواضر والمراكز الكبرى؛ ونتج عن هذا النشاط التجاري بروز مراكز تجارية مزدهرة، اتخذت دور الوسيط في تجارة السلع والبشر، ولم تكن عمليات جلب الرقيق عشوائية، بل ارتبطت بمصادر محددة، يتناول هذا المبحث تحليل تلك الطرق والمراكز، مع تسليط الضوء على مصادر جلب الرقيق.

أولا: الطرق والمسالك التجارية:

أ- طريق من مدينة تكرور إلى جزيرة أوليل ثم مدينة سلا في الشمال المغربي:

يعد هذا الطريق من أهم المسالك التجارية التي ربطت بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط[1]، وقد وصف الإدريسي طريق تكرور إلى جزيرة أوليل[2]، قائلا: **"يسافر أهل المغرب بالخرز والنحاس والصوف ويخرجون منها التبر والخدم"**[3]، مما يدل على الطابع التجاري الحيوي لهذه المسلك الذي كان يشهد حركة مستمرة بين الشمال والجنوب؛ فقد كانت القوافل التجارية التي تنقل من المغرب الخرز والنحاس والصوف وهي مواد تعتبر ذات قيمة كبيرة في أسواق السودان الغربي، في المقابل كانت هذه القوافل تحمل التبر (الذهب) والخدم (العبيد) الذين كان يشكلون جزءا من الثروات الطبيعية التي يتم عبر هذا الطريق الى الأسواق الشمالية[4].

ومما لا شك فيه أن هذا الطريق لم يكن مجرد مسار لنقل البضائع، بل كان شريانا اقتصاديا، حين أسهم في تطور الممالك مثل مملكة تكرور ومملكة مالي، كانت تجارة الرقيق من خلال هذا الطريق

---

[1]- للاطلاع على خريطة الطرق التجارية ينظر الملحق (04)، ص 98

[2]- **أوليل**: جزيرة في الإقليم الأول من أرض السودان على مقربة من ساحل وبها ملاحة مشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها يحمل الملح منها إلى جميع بلاد السودان. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 64.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

[4]- فريد عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 87.

تشكل جزءا أساسيا من التجارة العابرة للصحراء مما جعل منه حلقة وصل حيوية بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي عبر الصحراء.

ب– الطريق اللمتوني الرابط بين سجلماسة ومدينة غانة:

اعتبر الطريق اللمتوني في العصر الوسيط الشريان الحيوي الذي ربط بين حواضر المغرب الإسلامي وممالك السودان الغربي، حيث كانت القوافل الجمال تعبر الصحاري القاحلة حاملة أثمن السلع التي شكلت عصب الاقتصادي في تلك الفترة وقد وصف البكري هذا الطريق، بقوله: "**ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة مسيرة شهرين في الصحراء**"[1]، مشيرا الى تلك الرحلة الشاقة التي كانت تربط بين مناجم الملح في الشمال وكنوز الذهب في الجنوب، وساهمت تجارة الرقيق بدور محوري في ديناميكية هذا الخط التجاري العظيم، وتحكمت في هذا الطريق قبائل الصحراء مثل صنهاجة ولمتونة بهذا الطريق حيث كانت تفرض إتاوات على القوافل مقابل توفر الأمن، وتراجع دور هذا الطريق بعد بروز طرق جديدة إلا أنه يبقى حقبة تاريخية كانت فيها البشرية سلعة ثمينة لا تقل قيمة عن الذهب والملح.

ج– طريق أودغشت–غانة:

يعد من أهم الطرق التي لعبت دورا في تجارة الرقيق و أهم الطرق الصحراوية الرابط بين شمال إفريقيا وبلاد السودان الغربي وقد أشار الجغرافي ابن حوقل إلى هذا الطريق بقوله في صورة الأرض: "**ومن أودغست إلى غانة بضعة عشر يوما بالمفردة**[2]"، وهو ما يوضح قرب المسافة نسبيا وسهولة الوصول مقارنة بباقي الطرق الصحراوية مما جعله ممرا رئيسيا لتجارة الرقيق، وكانت القوافل تمر عبر هذا الطريق ناقلة الرقيق من الجنوب إلى الشمال حيث يتم شراؤهم من أسواق مملكة غانة أو من المناطق الواقعة جنوب منها ثم ينقلون إلى أودغشت ومنها الى مراكز الكبرى في الشمال والمشرق الإسلامي وقد ساهم هذا الطريق في ازدهار هذه التجارة، وعزز مكانة كل من غانة وأودغشت، إلا أن ما يعاب

[1]– البكري، **المغرب**، ص 149.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.

على هذا الطريق هو أن القوافل لا تأخذ أو تسير في نفس الخط بسبب كثافة الرمال فيه وكلما هبت الرياح غطت المسار؛ ويرافقه انعدام الماء فقط كان التجار كلما قاموا بحفر بئر تغطي ولا يبقى منها شيء؛ وهذا ما ذكره البكري "**لا تلبث تنهار وتدفن**"[1]، وهذا ما صعب من مأمورية عبور الطريق، واضطر بعض التجار إلى تغيير والبحث عن طريق آخر[2].

د- طريق درعة-غانة:

يعد من أقدم الطرق التجارية الصحراوية التي ربطت بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان وخاصة مملكة غانة، وقد شكل هذا الطريق محورا حيويا لحركة القوافل التي كانت تنقل العبيد من الجنوب الى الشمال ومنها إلى المراكز الإسلامية الكبرى، مثل سجلماسة وفاس، وكان لوادي درعة دور أساسي في هذه الحركة، إذ مثل نقطة انطلاق رئيسية للقوافل العابرة للصحراء. كما كان يعد ملتقى للتجار القادمين من الشمال إلى الجنوب ويورد البكري وصفا دقيقا لهذا الطريق مشيرا إلى المسافة بين درعة وغانة "**ومن وادي درعة خمس مراحل... منها إلى مدينة غانة أربعة أيام**"[3].

ما يدل على كثافة استعمال التجاري لهذا المسار وأهميته في ربط المراكز الاسلامية بعمق إفريقيا، وقد ساهم الطريق في تسهيل تجارة الرقيق، حيث كانت القوافل تحمل أعداد كبيرة من الأسرى الأفارقة إلى الشمال، مما جعله شرايين الاقتصاد في العصر الوسيط، ورغم أهميته التجارية فإن الطريق كان بالغ الصعوبة بسبب اجتيازه مناطق مفازة قليلة المياه[4]، مما عرض القوافل خاصة تلك التي تحمل الأسرى والرقيق، لمشاق شديدة، حيث كان النقص المياه يزيد من معاناة الرحلة ويضاعف من معدلات الهلاك لاسيما في صفوف الرقيق الذين كان ينقلون في ظروف قاسية لذلك ارتبط هذا الطريق دائما بمخاطر الجفاف والعطش، مما زاد قسوته رغم عائده الاقتصادي الكبير.

---

[1]- البكري، **المغرب**، ص 156.

[2]- فريد المهندس، المرجع السابق، ص 91.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 163-164.

[4]- فريد المهندس، المرجع السابق، ص 91.

هـ- طريق سجلماسة-تغازة[1]-بلاد النيجر:

كان هذا الطريق من أهم المسالك التجارية التي ربطت شمال إفريقيا ببلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط وقد شكل محورا حيويا في حركة القوافل الكبرى التي نقلت الملح والذهب والبضائع الأخرى. وكان لتجارة الرقيق من مناطق النيجر ومالي إلى أسواق في المغرب الأقصى وسجلماسة؛ حيث يباعون هناك أو ينقلون عبر الموانىء نحو العالم الاسلامي وأوروبا، تبرز أهمية هذا الطريق من خلال ما أورده الرحالة ابن بطوطة في حين قال: "**ولما عزمت السفر إلى مالي وبينها وبين إيولاتن[2] مسيرة أربعة وعشرون يوما**"[3] في إشارة إلى المشقة وطول المسافة التي كانت تفصل بين المحطات التجارية في هذه الطرق الصحراوية، مما يدل على حجم التنظيم والتخطيط الذي كانت تتطلبه هذه الرحلات، وعلى الأهمية الاقتصادية الكبرى التي كانت تحظى بها تجارة الرقيق ضمن شبكة المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب.

و- طريق كانم-زويلة:

كان من أهم المسالك التجارية الصحراوية التي ربطت بين منطقة كانم في قلب السودان الأوسط ومدينة **زويلة** في إقليم فزان، وقد لعب هذا الطريق دورا محوريا في حركة القوافل التجارية، خاصة في تجارة الرقيق خلال العصر الوسيط، فقد كانت زويلة مركزا تجاريا نشطا يصل بين الشمال الإفريقي وأعماق إفريقيا، منها تنطلق القوافل نحو طرابلس وبرقة ومصر، وقد وصف الحميري هذه الحركة بقوله: "**يجلب الرقيق ويخرج منها إلى بلاد إفريقية وغيرها**"[4]، في إشارة إلى الدور الحيوي لزويلة كمحطة لتصدير الرقيق إلى سائر أرجاء المغرب وما وراءه، كما أشار البكري إلى الأهمية

---

[1]- **تغازة:** مكان به عدد من مناجم الملح التي تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج الملح. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 108.

[2]- **إيوالاتن:** أو ولاته مدينة بالصحراء كان لها دور رئيسي في التجارة العابرة للصحراء، بينها وبين مالي أربعة وعشرون يوما. ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص 247.

[3]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 247.

[4]- عبد الرحمن قدوري، المرجع السابق، ص 198.

الاقتصادية لزويلة، بقوله: "**ويجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية**"[1]، يعكس مكانتها كمصدر رئيسي لهذه التجارة، وقد ساهم هذا الطريق في ازدهار مملكة كانم التي اعتمدت بشكل كبير على تصدير الرقيق إلى الشمال مقابل الحصول على السلع المصنعة والأسلحة والملح، مما عزز من مكانتها السياسية والاقتصادية بكون الرقيق هو المصدر الأساسي لها بسبب انعدام مناجم الذهب[2].

ثانيا– الأسواق والمراكز التجارية:

أ– زويلة:

تعد زويلة من بين أهم المراكز التجارية بين مملكة كانم وبلاد المغرب الإسلامي لأنه طريقها عامر بالواحات والآبار، لذا شكلت محطة استراحة للقوافل[3]، وهي مدينة كبيرة قديمة في الصحراء بالقرب من بلاد كانم من السودان وهي صغيرة بأسواقها ومنها يدخل إلى بلاد السودان[4]، وذكر اليعقوبي بأنها كانت أكبر سوق لبيع العبيد خلال القرن 4هـ/10م؛ والذين كان يجلبهم تجار الكُوار[5]؛ بعد أن أسرهم في الغزوات التي كانوا يشنونها ضد قبائل الميريين والزجاويين والماراويين، كما بيع فيها الأفراد الذين بيعوا كعبيد من دون سبب فم يأسروا في حرب ولم يتم قنصهم وليسوا من القبائل المستعبدة، بل باعهم حكامهم في سوق زويلة مما جعلها من أكبر أسواق العبيد خلال العصر الوسيط، بفضل موقعها الجغرافي الذي جعلها تقع في نهاية طريق تشاد–كوار–فزان، وبعدها يتفرع هذا الطريق إلى مسلكين أحدهما يتجه نحو مصر والآخر نحو إفريقية[6].

[1]– البكري، المصدر السابق، ص 11.

[2]– فريد المهندس، المرجع السابق، ص 92

[3]– للاطلاع على خريطة مدن السودان الغربي ينظر الملحق (05)، ص 99.

[4]– الحميري، المصدر السابق، ص 295.

[5]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص 103.

[6]– زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص ص 150–151.

ب– غانة المدينة:

تعتبر غانة المدينة من أهم المراكز التجارية في السودان الغربي فكانت جسر للمرور والتوغل في بلد السودان، وساهمت في التجارة بما في ذلك تجارة خاصة تجارة الذهب التي كانت يأتيها التجار من كل حد وصوب، كما قصدوها من أجل الرقيق الذي كانت توفره عن طريق غارات أهلها على القبائل المجاورة وفي هذا الصدد يقول الادريسي: "**وأهل سلى وتكرور وغانة يغيرون على بلاد لملم ويسبون أهلها ويجلبونهم الى بلادهم فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم**"[1]، فقد كان لموقعها الجغرافي الأُر الكبير في شهرتها بسبب تحكمها في الطرق التجارية مما جعلها محطة تجارية مهمة لشمال افريقيا وغربها[2]، إلى أن أصبحت عاصمتها كومبي صالح من أكبر الأسواق بلاد السودان[3].

ج– وارجلان:

مدينة أزلية بناها النوميديون يحيط بها النخل وسكانها أغنياء أغلبهم سود[4]، من البربر ومجانة ضاربة في البر بين إفريقية و بلاد الجريد[5]، وقال عنها ابن سعيد المغربي "وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"[6]، فكانت فكانت بذلك مركزا لتجميع الرقيق السود القادم من بلاد السودان كما عرفت تدفق الرقيق الأبيض القادم من أوروبا وبذلك كانت مركز تدفق لهذه التجارة ومبادلاتها[7]. وكان سكانها أغنياء حسب ما قاله الحسن الوزان مما جعلهم يساهمون في التجارة العابرة للصحراء لأنهم كانوا على اتصال مع ممالك

[1]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 19

[2]– سلسبيل جابر عناد، النشاط التجاري لمدينة غانة في القرن (الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي)، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، 1 ذي الحجة، 1443هـ/ 30 جوان 2022م، ص 408.

[3]– عيادة عزب، المرجع السابق، ص 106.

[4]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 136

[5]– ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج 5، دار صادر، بيروت، ، ص 371.

[6]– ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص126.

[7]– مُحَّد بن عربة و أحلام بوسالم، "دور مدينة ورجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون تيارت، مج 4، ع 1، جانفي 2021، ص ص 87-88.

السودان "وسكانها أغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد، لا سيما من قسنطينة وتونس يحملون إلى واركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان"[1].

د- غاو/جاو (Gao):

تقع جني جنوب مدينة تادمكة وتبعد عنها بتسع مراحل[2]، وتعتبر غاو المركز التجاري الثاني من حيث الأهمية بعد تنبكت، بفضل وقوعها على منحنى نهر النيجر نحو الجنوب، الأمر الذي مكنها من الإشراف على حركة الملاحة والتجارة النهرية على امتداد نهر النيجر نحو الجنوب والغرب، وقد حافظت على مركزها التجاري في ظل الأسرة الجديدة حتى قامت مملكة مالي الإسلامية، فدخلت جاو تحت طاعتها في الفترة الواقعة ما بين 626-636هـ/1225-1235م، ثم استقلت غاو عن مالي وبدأ عهد توسعها حين تولى الملك سُني علي (869-898هـ/1464-1492م) حكم سلطنة سنغاي في مرحلتها الأول[3].

وصفها الإدريسي بأنها كانت سوقا عظيما يقصدها التجار لا سيما المغرب بقوله: "كوغة فإنها على ضفة البحر الحلو، وهي مدينة عامرة لا صور لها وبها تجارات وأعمال وصنائع يصرفونها فيما يحتاجون إليه"[4]، ومع القرن 6هـ/12م فقد أكد الإدريسي على أنها "مدينة كبيرة مشهورة، كثيرة السكان"[5]. ومع الوقت تنامي دور غاو التجاري خاصة بعدما تراجع دور كومبي صالح بعدما خرب المرابطون أودغشت سنة 446هـ/1054م، ومع منتصف القرن 8هـ/15م أصبحت غاو مدينة كبيرة، تواجد بها الكثير من الغاربة، وأصبحت منطلقا للمسلك التجاري المتجه نحو تادمكة-وارجلان-

---

[1]- مَامُودُو كان، **التراث الحضاري المشترك بين بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربي من القرن (5-10هـ/11-16م)**، دار الإسراء للطباعة والنشر والتوزيع، نواكشوط، ط 1، 1445هـ/2024م، ص 128.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص 180.

[3]- الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص ص 309-310.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 27.

[5]- المصدر نفسه، ص 27.

القيروان ومنها إلى بقية مدن المغرب والأندلس، كما أنها ارتبطت بشبكة طرق داخلية مع العديد من مناطق السنغاي والماند، فعرفت توافدا مستمرا إليها للقوافل مما جعل منها مركزا فاعلا في التغييرات الاقتصادية والاجتماعية، واحتضنت جالية مغربية كبيرة، مهدت سياسيا لظهور مملكة صنغاي، وعلى عهدها بلغت غاو أوج عظمتها وقوتها وازدهارها[1].

وبلغت غاو قدرا كبيرا من الازدهار الاقتصادي في عهد الأسكيا مُحَمَّد الكبير فقد أصبحت عاصمة مملكة سنغاي وبلغت أقصى اتساع لها على عهد الأساكي، حيث كانت تستقبل القوافل التجارية القادمة من الشرق في طريقها إلى مدينة تنبكت، في الوقت الذي كانت فيه القوافل القادمة إلى تمبكتو تنقل كثيرا من بضائعها إلى جاو، علاوة على احتكارها لتجارة القوافل التي تأتي من بلاد الهوسا، كما كانت تعج بالتجار المغاربة القادمين من الشمال الإفريقي، الذين كانوا يتاجرون في مختلف البضائع وعلى رأسها الأقمشة التي يحضرونها من المغرب وأوروبا[2]. واشتغل أهلها بالتجارة ويأتون إليها التجار من جهات الإفريقية، وتشتهر بسوقها الأسبوعي الذي يباع فيه العبيد بأثمان بخسة، لا تتجاوز ثمنه العبد الشاب أو الآمة الشابة ستة عشر درهما[3].

واشتهرت جاو أكثر خلال القرن 10هـ/16م باعتبارها أكبر سوق للعبيد حينها، كان العبد يباع ذكرا أو أنثى بنحو ستة مثاقيل، والأطفال والمسنون نصفه، وقد يرتفع ثمن العبد الشاب إلى خمسين وسبعين مثقال وإذا بيعوا جملة يختلف الثمن[4]، وكان للجنس والعمر دور في تحديد ثمن العبد،

---

[1]- حسين بوبيدي، **محاضرة الحواضر الصحراوية الفاعلة في العلاقات**، ص 2، 9.

[2]- حسن علي إبراهيم الشيخلي، **تأثير الإسلام وثقافاته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر**، أطروحة دكتورة، كلية الدراسات العليا والآداب قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009/2008م، ص 29.

[3]- بوداوية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2006/2005م، ص 296.

[4]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ص 151.

فالعبد الشاب يساوي 18-20 دينار، والبالغ يساوي 30 دينار، والأمة تساوي 300 خاصة إذا كانت جميلة ومتعلمة وتجديد الطبخ والغناء والضرب على الآلة[1].

د- تكرور:

تنسب إلى قبيلة من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج[2]، وحسب كل من البكري والإدريسي أنها تقع جنوب النيل[3]، وأما في جانبها التجاري فقد كانت كغيرها من المراكز السابقة مركز إلتقاء القوافل القادمة من الشمال، وقد بين الحميري ذلك في قوله: "**كانت تتوجه إليها القوافل من المغرب الإسلامي محملة بالصوف والنحاس ليعودوا محملين بالذهب والرقيق**"[4]، وتبرز هذه المقولة الدور المحوري الذي لعبته تكرور في تجارة الرقيق، إذ كانت مركزا لتجميع العبيد المنحدرين من الداخل الإفريقي.

هـ- ولاته (ايولاتن):

تقع في الشمال الغربي من تنبكتو وبنيت على أنقاض مدينة "بيرو"، قال عنها ابن بطوطة أنها شديدة الحر وأكثر السكان منها من مسوفة ولنساءهم جمال فائق ورجالها أعظم شأنا[5]، تأسست في القرن الأول هجري، وظهرت أهميتها كمركز تجاري وسوق بعد سقوط أودغشت بيد قبائل الصوصو سنة 600هـ/1203م، فهاجر تجارها نحو ولاتة وأخذت بذلك دورها التجاري بعد انحراف القوافل التجارية نحوها، واستقرار التجار بها للأمان الذي وجدوه بها[6]، يقول ابن بطوطة: "**فلا يخاف المسافر المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، مع عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من**

[1]- أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 171.

[2]- الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 38.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 172. الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص 134.

[5]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 677.

[6]- عبد الرحمن قدوري، المرجع السابق، ص 181.

البيضان، ولو كان بالقناطير المقنطرة، إنما يتركوه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه"[1]، هكذا أصبحت ولاته سوقا يقصدها المغاربة، وعمل سكانها كمرشدين للقوافل التجارية العابرة للصحراء، وقدموا الخدمات اللازمة لها، وكان لها دور فعال بسبب وقوعها على طريق القوافل القادمة من سجلماسة[2]، وبالتالي ساهمت هذه المدينة في التجارة السودانية خلال العصر الوسيط وعاشت أزهى عصورها في عهد مملكة مالي قبل أن تتوجه الأنظار إلى أسواق غيرها.

و- جني (Djenné):

أسست مدينة جني على نهر النيجر الأعلى، في منتصف القرن الثاني من الهجرة (حوالي سنة 800م)، وقد ازدهرت على عهد المرابطين بسبب تأمين الطرق التجاري وانتشار الأمن، وامتازت بسعتها، وبأنها سوق عظيمة، يلتقي فيها التجار من جميع البلاد[3]، فحظيت بمكانة تجارية بسبب موقعها كملتقى للقوافل التجارية فكانت بذلك من أهم وأشهر الأسواق ببلاد السودان الغربي خاصة أيام مملكتي مالي وسنغاي، وقد قال السعدي "وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين، وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغازا وأرباب الذهب الذهب من بيط...فوجد الناس بركتها في لتجارة"[4]، وبها سوق كبيرة تشتغل طول الأسبوع يلتقي فيها التجار من بلاد السودان ومصر والمغرب وغيرها، ويتبادلون السلع ويشترون منها العبيد، وبلغت ذروتها في العهد المغربي فقد أصبحت تتوفر على دكاكين لبيع المنتوجات[5].

---

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 672.

[2]- بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص 301.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 160-161.

[4]- عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص ص 11-12.

[5]- مُحَمَّد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ج 1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ص 580.

ز- تادمكة:

تقع تادمكة شمال السودان الغربي بحيث تتمركز في قلب الصحراء أسسها صنهاجة الملثمون قبل الإسلام[1]، يقال أنها تشبه مكة المكرمة حسب ما جاء في كتاب البكري: **"وتادمكة أشبه بلاد الدنيا بمكة، ومعنى تادمكة هبة مكة، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب، وهي أحسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكو"**[2].

وكانت تمثل المحطة الرئيسية للقوافل التجارية القادمة من الشمال، بها بضائع متنوعة التي كان يأتي بها التجار من كل مكان سواءا المشرق أو المغرب وهذا ما جعلها مدينة تجارية بامتياز وسوقا كبيرا في الصحراء الكبرى[3]، وظلت مركزا تجاريا مهما حتى نهاية القرن 10هـ/16م إذ تحولت الطرق التجارية نحوها قاصدة جاو، وهذه الأخيرة بدأت أهميتها السياسية والتجارية تزداد فتزايدت معها الأهمية التجارية لتادمكة[4].

ح- تمبكتو:

شكلت مدينة تمبكتو إحدى الحواضر التجارية والثقافية في منطقة السودان الغربي خلال العصر الوسيط حيث لعبت دورا محوريا في تجارة الرقيق ضمن الشبكات الاقتصادية العابرة للصحراء، وتعتبر من أهم المراكز التجارية، أنشأت في أواخر القرن الخامس الهجري سنة 490هـ/1097م على يد توارق مغشرن في عهد الأمير يوسف بن تاشفين[5]، كما أكد ذلك السعدي في قوله: **"نشأت على على أيدي توارق مقشرن وصارت سوقا للتجارة"**[6] **في** أواخر القرن الخامس من الهجرة في دلالة على جذورها المحلية.

---

[1]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 115.

[2]- البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فريي، الدر العربية للكتاب، 1992م، ص 880.

[3]- المصدر نفسه، ص 881، 883.

[4]- عبد الرحمن قدوري، المرجع السابق، ص 194.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 163.

[6]- السعدي، المصدر السابق، ص 20.

وتقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى كما يعرف بمنحنى نهر النيجر، وتعتبر حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، وهي قريبة من النيجر حيث يبعد عنها في فصل الصيف ستة عشر ميلا، وتبعد عن قرية ولاته خمسة وعشرون يوما، وعن جاو بنحو اثني عشر مرحلة عن جهة الشرق[1]. أما المؤرخ محمود كعت فقد أضاف على الأهمية الجغرافية للمدينة، بقوله: **"تقع على نهر النيجر"**[2]، وهو موقع استراتيجي جعل منها حلقة وصل بين المناطق الداخلية لإفريقيا وغرب العالم الإسلامي، وأضاف الحسن الوزان في سياق حديثه عن ازدهارها: **"تمبكتو ازدهرت ونمت أيام منسى موسى"**[3]، وهذا فيه إشارة إلى الفترة التي بلغت فيها ذروتها في النشاط التجاري خاصة في ظل حكم مملكة مالي خلال هذه الفترة ازدهرت تجارة الرقيق حيث كانت تمبكتو مركزا لتجميع الرقيق ونقلهم.

وكانت التجارة هي عصب الحياة الاقتصادية لمدينة تنبكت، قصدها الناس من كل مكان، خاصة من بلاد المغرب الإسلامي كتجار توات مثلا، الذين يعودون محملين بالسلع السودانية، وتعتبر نقطة تموين للقوافل القادمة من الشمال الإفريقي والخارجة منها، كما ، كما ساعد ظهور الإسلام فيها على جعلها بهذه العظمة[4]، ما يعكس نشأتها المبكرة كمركز للقوافل وتحولها إلى سوق تجاري فعال فعال ساهم بشكل كبير في رواج تجارة العبيد.

ثالثا: مصادر جلب الرقيق:

1- الحرب والغارة:

أ- الحرب:

شكلت الحرب مكونا أساسيا في بنية الدولة والمجتمع بالسودان الغربي خلال العصر الوسيط، إذ لم تكن مجرد وسيلة للدفاع أو التوسع بل أداة سياسية واقتصادية في آن واحد، وتميزت الممالك غانة

[1]- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي**، ص ص 92-93.

[2]- محمود كعت، **الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، تح تع: حماه الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 218.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 165.

[4]- الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 97.

ومالي وسنغاي بتنظيم عسكري واضح، وتجنيد مستمر للرجال القادرين على القتال، وذكر البكري أن أحد ملوك السودان **"كان يستطيع أن يجند للحرب مائتي رجل منهم ألف مسلح بالأقواس والسهام والباقون بالحراب فقط"**[1]، وهذا ما يدل على كثافة القوة البشرية واستعدادها الدائم للمواجهات.

كما أشار زاهر رياض في دراسته عن المماليك الاسلامية في غرب إفريقيا إلى أن الملك: **"كان يطلب منهم دائما أن يكونو مستعدين للحرب ضد جيرانهم المعتدين"**[2]، إشارة إلى التهديدات المستمرة من الجماعات غير الاسلامية التي كانت تقطن مناطق الغابات، هذا المناخ شبه الحربي مهد الطريق لظاهرة السبي.

*** السبي:**

السبي هو "أخذ الأفراد أسرى أو الغزوات بغرض استرقاقهم أو استعبادهم"، وقد أشار العديد من الجغرافيين لهذه الظاهرة في بلاد السودان الغربي، مسلطين الضوء على الممارسات الاجتماعية المرتبطة بها فقد ذكر البكري نساء السودان: **"كن أنفات أن يملكهن البيضان"**[3]، في إشارة إلى كبريائهن ورفضهن الوقوع في الرق لدى العرب، وهو ما يعكس وعيا ذاتيا وكرامة انسانية لدى النساء الافريقيات في مواجهة نظام السبي والاسترقاق، أما الإدريسي فقد وصف بعض سكان المنطقة كانوا بعد انتهاء الحروب يسبونهم **"بضروب من الحيل"**[4]، مما يدل على وعي المجتمعات المحلية بخطر الوقوع في الأسر وسعيهم لتفاديه بشتى الوسائل سواء عبر التحصن أو الهروب أو التمويه.

تكشف هذه المقولات عن مواقف متعددة تجاه السبي تتراوح بين الرفض والمقاومة، لم تكن مقبولة بالضرورة في ثقافة المجتمعات المحلية، رغم انتشارها بفعل الطلب العربي والأوروبي على الرقيق،

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 117.

[2]- زاهر رياض، **المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا وثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص 109.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 159.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 22.

وشكل السبي أحد أبرز الغزوات التي شنها ملوك مالي ضد الجمعات غير المسلمة المجاورة، حيث اعتبر وسيلة أساسية لتغذية سوق الرقيق في السودان الغربي، واتخذت هذه الغزوات طابعا دينيا اذ كانت تبرر تحت عنوان الجهاد، وهو ما عبر عنه العمري في مسالك الأبصار، بقوله: "**في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان، فهم أمم لا يستوعبها الزمان**"[1]، تعكس هذه العبارة ليس فقط الاستمرارية والاتساع الجغرافي لهذه الحملات بل أيضا أعداد الكبيرة من سكانها والتي كانت يذهب بها المطاف الى السبي أو القتل، السبي لم يكن مجرد نتيجة عرضية للحروب بل كان هدفا اقتصاديا مقصودا ضمن سياسة التوسع التي انتهجتها الممالك.

ب– الغارات:

اعتمد أهل السودان الغربي خلال العصر الوسيط على الغارة، وهي هجوم مفاجئ تشنه جماعات مسلحة بهدف السلب أو الأسر، كآلية أساسية للحصول على الرقيق، وشكلت هذه الممارسة وسيلة فعالة لتوفير الأيادي العاملة لتلبية الطلب المتزايد في الأسواق المحلية والإقليمية لاسيما في إطار التبادلات التجارية، واعتمد أهل السودان على الغارة كوسيلة من أجل الحصول على العبيد[2]، فكان أهل غانة يغيرون على بني أميمة[3] بالسيوف و الرماح، فكانت من أبرز الطرق التي استخدمت للحصول على الرقيق كغيرهم من الأمم.

ج– القنص:

وهو نوع من الكمائن الفردية أو الجماعية التي تعتمد على المكر والمباغتة أكثر من المواجهة المباشر أين يتم استهداف الأفراد أو الجماعات الصغيرة للقبض عليهم واسترقاقهم، ويؤكد عبد الرشيد منهدس على مدى اعتماد الممالك السودانية على هذا الأسلوب بقوله: "**دأب حكام الممالك**

[1]– العمري، **مسالك ا لأبصار**، ج 4، ص 59.

[2]– عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 66.

[3]– **بني أميمة:** قبيلة من جناوة يسكنون على ساحل البحر المحيط، وهم يدينون بالمجوسية وبسبب كفرهم لا يدخل اليهم أحد يجلب منها العبيد. ينظر، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزُّهري، **كتاب الجغرافية**، تح: مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، ص 125.

السودانية على شن الغارات باستمرار على الشعوب التي كانت تقطن في أطراف الغابات...ليحصلوا على أعداد هائلة من الأسرى"[1]، وهذا يدل على أن تلك العمليات كانت ممنهجة ولم تكن مجرد ردود فعل ظرفية، بل جزء من سياسة هدفت إلى تأمين مورد بشري خدمة للاقتصاد والحرب والتجارة، وهو نفس الحال بالنسبة لسكان **غيارو**، في قنص العبيد إذا كانوا يتجهزون لهم ويركبون الإبل ليلا وينطلقون ويشنون هجمات على سكان لملم صباحا، فيأسرون عددا كبيرا منهم ويذكر ابن الوردي في كتابه جزيرة العجائب سكان غيارو: "**يغيرون على بلاد لملم ويأسرون منهم ويبيعون في أرض الكرك**[2]"، حيث يتم نقلهم وبيعهم في أسواق الرق في شمال افريقيا.

2- الخطف والسرقة:

شكل الخطف والسرقة أحد روافد تجارة الرقيق إذ ساهمت الظروف السياسية والاجتماعية في انتشار هذه الظاهرة، وكانت بعض القبائل والمجموعات المسلحة تقوم بعمليات مداهمة للقرى والمناطق النائية، وتقوم بخطف الأفراد خاصة النساء والأطفال بهدف بيغهم في الأسواق المحلية، أو تصديرهم عبر الطرق التجارية نحو الشمال والعالم الإسلامي، ووصف المؤرخ أحمد بن خالد الناصري حال أهل تلك البلاد، فقال: "**يغيرون بعضهم على بعض ويخطف بعضهم أبناء بعض**"[3]، و"**ذلك لقلة الديانة وانعدام الوازع**"[4]، مما يعكس مدى الانحلال الأخلاقي وضعف الوازع الديني الذي ساهم في انتشار هذه الظواهر، كما أكد الإدريسي ذلك وأن شعب كان قد تعرض لغارات من جيرانهم الذين يسرقون أطفالهم[5]، كما أكد الحميري على سرقة المشرقين لأبناء السودان وخداعهم بالتمر في قوله: "**يسرقون**

---

[1]- عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 64.

[2]- **الكرك** : مملكة واسعة عظيمة ولها ممالك كثيرة. ابن الوردي، **جريدة العجائب**، ص 135.

[3]- جعفر الناصري ومحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 5، دار الكتاب الدار البيضاء، 1955، ص 133.

[4]- المرجع نفسه، ج 5، ص 133.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 109، 110.

أبناء الزنج بالتمر يخدعونهم بهم، فينقلونهم من مكان إلى مكان حتى يقبضوا عليهم"[1]، وفي ذلك إشارة من الحميري إلى أن المصريين أو المشرقيين لم يكونوا يذهبون الى سوق السودان بهدف التجارة فقط بل كانوا يكيدون لهم لسرقتهم واسترقاقهم.

3- الجريمة:

عرفت بعض مجتمعات بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط ظاهرة استرقاق بني جلدتهم نتيجة ارتكابهم الجرائم على رأسها السرقة فقد كانت العقوبات الجنائية تتضمن في بعض الحالات تحويل سارق إلى عبد يباع في الأسواق وهو ما يشير إليه البكري في قوله: **"إذ كان يحق لمن تعرض للسرقة بيع من قام بسرقته، فيصبح بذلك رقيقا"**[2]، وهذا يعكس واقعا كانت فيه الجريمة سببا مشروعا للاسترقاق في نظر البعض، ويظهر كيف تداخلت النظم العقابية والاجتماعية مع تجارة الرقيق الداخلية. إضافة إلى جريمة السرقة تضاف جريمة السحر والشعوذة التي كانت أيضا أحد روافد الاسترقاق في السودان الغربي، إذ كان من سهل اتهام شخص بالسحر دون دليل واسترقاقه خاصة من كانت لديه أسرة كبيرة تعود بالفائدة على زعماء القبائل[3].

4- بيع الأحرار:

تعد ظاهرة بيع الأحرار من أبرز مظاهر التجاوز في مجتمعات السودان الغربي خلال العصر الوسيط وتعني قيام بعض الأفراد أو السلطان بيع أشخاص أحرار على أنهم عبيد، دون أن تتوفر فيهم شروط الاسترقاق الشرعي، وذلك لأسباب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، وقد وثق عدد من العلماء والرحالة هذه الممارسة، منهم الحموي الذي أشار إلى استبداد بعض الزعماء، بقوله: **"فكان ملك الزغاوة يتصرف في شعبه كيفما يشاء ويجعل من يريد منهم عبيدا"**[4]، وهو قول يكشف عن تحول مفهوم السلطة إلى أداة للاسترقاق، حيث لم تكن الحرية مصونة من داخل الجماعة الواحدة،

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص 74

[2]- البكري، المصد السابق، ص 173.

[3]- عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 74.

[4]- الحموي، المصدر السابق، ص: 142

ويؤكد هذا الطابع الاستغلالي أحمد بابا التمبكتي: **"فالأصل فيمن كان بيد أحد، وهو رقيق له بشراء أو نحوه ثم ادعى ألا نصدقه على دعواه حتى يثبت حريته"**[1]، وهو ما يجعل إثبات حريته أمر بالغ الصعوبة، ويفتح المجال لاستمرار استعباد الأحرار بسبب غياب الوثائق أو ضعف الحجة بل كان في بعض السياقات ممارسة مؤسسية مقنعة بثوب شرعي أو عرفي، وبسبب شيوع هذه الظاهرة في السودان وغيرها من البلدان اتفق الفقهاء على وضع وثيقة تثبت احقية الاسترقاق وأحقية المشرق في حريته ويظهر هذا جليا في قول المراكشي: **"هو إقرار الملوك أو المملوكة بالرق من جهة الاستحقاق بالحرية فقد تثبت حريتها يوما"**[2].

5- رق الديون:

تعد ظاهرة رق الديون من أبرز أشكال الاسترقاق الاجتماعي في السودان الغربي خلال العصر الوسيط؛ وهي تعني تحول المدين العاجز عن سداد دينه إلى عبد، فيسترق مقابل ما عليه من دين، وانتشرت الظاهرة أكثر زمن الأزمات الاقتصادية أين تتدهور الأوضاع المعيشة، فيلجأ بعض الأفراد إلى الاقتراض لتلبية حاجاتهم، فإذا عجزوا عن سداد الدين يصبحون عرضة للبيع أو يقدمون كرهائن حتى يسد الدين، وهناك فرق بين العبد والأسير فأسير الدين ليس عبدا[3]، ومن خلال ما ذكر يمكن التمييز بين من يسترق نتيجة الالتزام المالي ومن يؤسر في الحرب؛ فالمدين العاجز عن سداد دينه قد يستعبد نتيجة اتفاق.

6- رقيق الهدايا:

شكل رق الهدايا أحد أنماط الاسترقاق المميزة في مجتمعات السودان الغربي خلال العصر الوسيط، ويقصد به تقديم العبيد خصوصا الجواري والخصيان كهدايا متبادلة بين الملوك والزعماء المحليين، أو بين حكام المنطقة والتجار الوافدين من شمال إفريقيا، وذلك ضمن إطار العلاقات

[1]- أحمد بابا التنبكتي، **معراج الصعود**، ص 90.

[2]- عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 1997، ص 326.

[3]- فريد عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 76.

الديبلوماسية والتجارية التي اتخذت طابعا رمزيا وكان هؤلاء الرقيق يقدمون بوصفهم رموزا للثراء والمكانة، يستخدمون في تقوية التحالفات أو توثيق الروابط بين القوى المحلية والخارجية، وفي هذا السياق، ينقل فريد مهندس عن العمري في مسالك الأبصار، قوله: **"أن أحد تجار الملح المغاربة قد وصل إلى مدينة من مدن كفار السودان فأهدى غلى ملكها شيئا من الملح فقبله، وبعث إليه هذا الملك بجاريتين من أحسن جواري السودان صورة"**[1]، وهذا ما يكشف عنه مدى اندماج الرقيق في الممارسات السياسية والاقتصادية، وكيف تحولت الهدايا إلى وسيلة لإبراز سيادة وفرض النفوذ داخل النظام الاجتماعي والسياسي في الممالك الإفريقية.

7- روافد أخرى للاسترقاق:

وإلى جانب المصادر التقليدية للرق كالحروب والغارات عرفت مجتمعات السودان الغربي روافد أخرى للاسترقاق، والتي كانت تعكس تعقيدات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي آنذاك، ومن أبرز هذه الروافد بيع الأولياء لأطفالهم بسبب الفقر والحاجة، وهو ما يشير إليه العلامة الشنقيطي في قوله: **"كل ما يباع في الأسواق من الرقيق...إنهم كانوا يبيعون أطفالهم"**[2]، ويكشف قوله هذا حجم المعاناة التي دفعت بعض الأسر إلى التفريط في أبناءهم مقال المال أو النجاة من الجوع، كما يضاف إلى ذلك الاتهام بالتجسس أو نقض العهد[3]، وهي تهم كانت توظف أحيانا لتبرير الاسترقاق دون الحاجة إلى إثباتات قوية خاصة في سياق النزاعات القبلية أو السياسية.

يتضح من خلال هذا المبحث أن تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط اعتمدت على شبكة من الطرق التجارية البرية العابرة للصحراء، التي ربطت بين مراكز وأسواق داخلية كغانة وغاو ووجني تمبكتو وبين مراكز تجميع الرقيق كأودغشت وسجلماسة مثلا، ومثلت هذه المراكز نقاطا محورية في تنظيم حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء من أجل تبادل السلع من بينها الرقيق،

[1]- العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 76.

[2]- أحمد بن الأمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك**، القاهرة، 1404هـ/ 1983م، ص 522.

[3]- عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 80

والذين تنوعت مصادر جلبهم بين الغارات والحملات العسكرية والخطف والقنص ورقيق الدين وغيرها من روافد الاسترقاق، مما يعكس التداخل بين النشاط الاقتصادي والسياسي في بنية التجارة.

كما ساهم حكام الممالك السودانية كغانة ومالي وسنغاي بشكل كبير في تنظيم هذه التجارة وتأمينها، ولا ننسى دور الوسطاء كالتجار اليهود في ربط هذه الشبكات مع الأسواق الدولية مما عزز من مركزية السودان الغربي في حركة التجارة العابر للصحراء.

الفصل الثاني

الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية لتجارة الرقيق

المبحث الأول: الآثار الاقتصادية

أولا: دور تجارة الرقيق في تعزيز الاقتصاد السوداني

ثانيا: تأثير التجارة على الزراعة والصناعات المحلية

ثالثا: العلاقة بين تجارة الرقيق وتجارة السلع الأخرى

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية

أولا: تأثير تجارة الرقيق على التركيبة السكانية

ثانيا: التغيرات في النظم الاجتماعية والقبلية

ثالثا: أدوار العبيد في المجتمع

المبحث الثالث: الآثار الثقافية والدينية

أولا: تأثير تجارة الرقيق على انتشار الإسلام

ثانيا: الرقيق ونقل الثقافات والعادات

تميز العصر الوسيط في بلاد السودان الغربي بانتعاش المبادلات التجارية عبر الصحراء، وكانت تجارة الرقيق من أبرز هذه الأنشطة الاقتصادية، وقد تجاوزت هذه التجارة بعدها المادي لتحدث تحولات عميقة في البنية الاجتماعية و الثقافية والدينية للمجتمعات المحلية، ويتناول هذا الفصل دراسة لتلك الآثار، وما نتج عنها من تفاعل داخلي وخارجي مع العالم الإسلامي.

المبحث الأول: الآثار الاقتصادية

مثلت تجارة الرقيق خلال العصر الوسيط إحدى الدعائم الأساسية للاقتصاد في بلاد السودان الغربي، حيث ساهمت في تعزيز الاقتصاد المحلي من خلال ما رافقها من تدفق للثروات والسلع والعملات، وتنشيط للحركة التجارية بشكل عام، وهذا النشاط ألقى بظلاله على القطاعات الأخرى، إذ أدى تصدير اليد العاملة إلى تراجع الزراعة والصناعات المحلية، وتحول الاهتمام نحو تجارة الرقيق، كما ارتبطت تجارة الرقيق ارتباطا وثيقا بتجارة الذهب والملح، وأسهمت في توسيع شبكات التجارة الإقليمية، ما جعلها عنصرا فاعلا في الهيكل الاقتصادي العام للمنطقة.

أولا– دور تجارة الرقيق في تعزيز الاقتصاد السوداني:

1– تدفق الثروات والسلع والعملات:

شكلت تجارة الرقيق عنصرا محوريا في تنشيط الاقتصاد المحلي لممالك السودان الغربي، حيث أسهمت في خلق دورة تجارية حيوية داخل المدن الكبرى كمراكز لتبادل السلع والثروات، والعبيد شكلوا إحدى الركائز الأساسية في اقتصاد ممالك السودان الغربي، فالقوافل القادمة من الشمال كانت تسافر إلى السودان الغربي محملة بالصوف والنحاس والخرز وتعود منه بالتبر والخدم[1]، في دلالة على أن تجارة الرقيق لم تكن منفصلة عن تجارة الذهب والخيل وبقية السلع، بل كانت جزءا أساسيا منها،

[1]– الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا**، ص 37.

ومحفزا لتدفق الثروات المعدنية إلى الشمال، مقابل سلع مطلوبة محليا. كما أنها ارتبطت أكثر بتجارة الخيول، ومع الوقت شكلت التجارتان معا وحدة تجارية كبيرة[1].

ويؤكد شوقي عبد القوى أن القافلة الواحدة بها ما لا يقل عن 1500 جمل محملة بالرقيق، وكانت تأخذ في مقابل هذا منتجات مصر الصناعية من منسوجات قطنية وكتانية، وأقمشة صوفية، وأدوات نحاسية وفخارية، بالإضافة إلى السجاد، وغيرها من السلع التي كانت مطلوبة في السودان[2]، وأسهمت هذه المبادلات في تنشيط الأسواق المحلية، ووفرت موارد مالية وثروات للسلطات الحاكمة.

كما يضيف نعيم قداح أنه في بعض الحالات كان يستخدم النقد السائد في المغرب، فقد وجدت في أيدي حاشية بلاط مالي وغاو دنانير مغربية ومصرية استعملت لشراء حاجيات الأسرة المالكة[3]، ما يدل على أن تجارة الرقيق وغيرها من الأنشطة أسهمت في إدخال العملات المعدنية إلى الأسواق المحلية وربطها بالنظام المالي في إفريقيا، وفي ذات السياق يشير مبروك الهادي الدالي إلى أن العملات التي كان يتعامل بها أهل السودان كانت تصنع على هيئة قضبان، واستعملت هذه القضبان لشراء اللحم والحطب والعبيد[4]، مما يعكس الطابع المحلي للنشاط الاقتصادي اليومي الذي تكامل مع الأنماط النقدية الوافدة، ويؤكد مفتاح يونس أهمية العبيد في تدفق السلع الى السودان بقوله: **"حيث كان الحصان الجيد يساوي ما بين خمسة إلى عشرين عبدا"**[5]، وهكذا أصبحت تجارة الرقيق أحد أعمدة الاقتصاد المحلي.

---

[1]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 152.

[2]- شوقي عبد القوى، المرجع السابق، ص 70.

[3]- نعيم قداح، **أفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، سلسلة الثقافة الشعبية، ص 128.

[4]- الهادي مبروك دالي، المرجع السابق، ص 342، 344.

[5]- مفتاح يونس الرباصي، ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة كانم والبرنو في العصور الوسطة، مجلة الساتل، د.ع، د.ت، ص 98.

2- تأثير تجارة الرقيق على النشاط التجاري العام:

ثلت تجارة الرقيق ركيزة أساسية في تحفيز النشاط التجاري العام في بلاد السودان الغربي خلال العصور الوسطى، إذ لم تقتصر على تبادل البشر كسلعة، بل شكلت أيضا مصدرا لتوفير اليد العاملة التي أسهمت في تطوير قطاعات عامة حيوية مثل الزراعة واستخراج المعادن كالتبر وسبك النحاس، وأتاح هذا التوسع في الموارد البشرية الناتج عن تجارة الرقيق تنشيط عملية انتاج سلع أخرى وتنشيط حركة مبادلات تجارية سواء داخل المنطقة أو خارجها، كما ساهم في توفر تجارات أخرى كالملح والودع عن طريق التبادل[1].

وساهم نشاط تجارة الرقيق في ازدهار طريق سجلماسة- تغازة- النيجر الذي عرف نشاط مكثف في تجارة الرقيق وسلع أخرى من وإلى السودان الغربي، كما ساهمت تجارة الرقيق في بروز مراكز تجارية استراتيجية في عمق بلاد السودان، وعلى رأسها مدينة ولاته التي اكتسبت شهرة واسعة بصفتها محطة رئيسية لاستقبال وتوزيع الرقيق[2]. وقد مثلت هذه المدينة نقطة التقاء بين القوافل القادمة من الجنوب والمتجهة نحو الشمال، ما جعلها تحتل مكانة مركزية في شبكة التجارة العابرة للصحراء.

ثانيا- تأثير التجارة على الزراعة والصناعات المحلية:

1- الزراعة:

كان النشاط الزراعي خلال العصر الوسيط يشكل الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي للعيش بالنسبة لغالبية سكان السودان الغربي، مما جعل اليد العاملة عنصرا حاسما في استقرار الاقتصاد المحلي؛ وأدرك حكام الممالك السودانية أهمية الزراعية؛ فسعوا إلى تشجعيها وتنظيمها[3]، غير أن تصاعد تجارة الرقيق مثل تهديدا مباشرا لهذا القطاع، فقد دأب الحكام على شن الغارات على الشعوب القاطنة في أطراف الغابات الاستوائية بهدف أسر الرقيق بهدف أسرهم ونقلهم الى المدن التجارية لتصديرهم

[1]- رضوان هواري، التطور السوسيو اقتصادي في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط قراءة في السباب والعوامل، المجلة الشاملة متعددة التخصصات، ع 13، جويلية 2019، ص: 16.

[2]- عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 91-92.

[3]- دالي إبراهيم، المرجع السابق، ص 268.

للخارج[1]، مما أسفر عن استنزاف الطاقات البشرية المنتجة. ومع ازدياد الطلب على العبيد، تجرأ الطوارق على تكثيف غاراتهم على الفلاحين القاطنين قرب الأنهار، فعمت الفوضى، ونقصت اليد العاملة الزراعية[2].

وقد أشاد المغاربة بالكفاءة العالية للعناصر السودانية في أداء المهام الفلاحية الشاقة مثل حرث الأرض والكراب، لما عرف عنهم من قوة بدنية وصبر الأمر الذي جعلهم أكثر استهدافا من سوق الرقيق، وفاقم من أزمة نقص اليد العاملة في الداخل وأضعف الانتاج الزراعي على المدى البعيد[3]. وساهموا بشكل كبير في تطوير الزراعة خاصة الزراعة النهرية التي كانت على ضفاف الأنهار كضفتي نهري السنغال والنيجر[4]، فمدينة كاغو كانت تعتمد على مياه نهر النيجر ومياه الأمطار، ومياه الآبار، وزرع أهلها الحبوب كالشعير والقمح والأرز، كما زرعوا القطن والبطيخ والخيار والليمون البري وغيرها من الخضروات والفواكه[5].

كما انتقلت مجموعة من الخضر والفواكه السودانية للأسواق المغربية بفضل التجارة وبفضل العبيد الذي اشتغلوا في الحقول، وبذلك دخلت للمطبخ المغربي كالبصل والقرع والبطيخ والفول السوداني وفواكه غورو (Goro)، والذرة البيضاء المعروفة باسم "حب الأنلي" تشبه الذرة الصغيرة يصنع منها الدقيق والخبز كما ذكره ابن بطوطة[6].

وعمل الرقيق وبالمغرب الأقصى في جمع سماد النخيل والحيوانات ونقلها إلى الحمامات، واشتغلوا في الزراعة واستصلاح الأراضي، واستخراج الملح[7]، ويقول الحسن الوزان: "ويملك أهل هذه

[1]- عبد الرشيد مهندس، المرجع السابق، ص 64.
[2]- بطل شعبان غرياني، المرجع السابق، ص 210.
[3]- خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص 20.
[4]- هواري رضوان، المرجع السابق، ص 17.
[5]- عبد الرحمن قدوري، المرجع السابق، ص 159.
[6]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 849.
[7]- مامودو كان، المرجع السابق، ص 184.

البلاد–يقصد درعة وما جاورها– عبيدا سودا من الجنسين يلدون الأولاد ويحتفظون بهؤلاء الأولاد وآبائهم لخدمتهم لذلك تجد منهم الأسود والهجين أما الأبيض فنادر جدا"[1].

2– الحرف المحلية:

ازدهرت بعض الصناعات التقليدية في بلاد السودان الغربي بفضل الرقيق، مثل صناعة الحدادة التي انتشرت في كل من تمبتكو وجاو أين كانت تصنع معاول الحرث وأدوات الحرب كالخناجر والسيوف والدروع والخوذ والرماح والفؤوس وحدائد الخيل والمطارق والإبر، وأشهر الحدادين كانوا بإمارة كانُو[2]،كما ساهموا في انعاش القطاعات الحرفية والصناعية بالمغرب الأقصى كالخزارة والحدادة، فكانت حرفة الحدادة بجنوب المغرب الأقصى يتوارثها العبيد السود منذ زمن[3].

وعرفت صناعة الخشب رواجا كبيرا في بلاد السودان الغربي وأشار إليها الإدريسي، بقوله: "**عرفت الصناعة ازدهارا، فقد كانت صناعة الخشب من الصناعات الواسعة فمن خشب الأبنوس صنعوا الأبواب والنوافذ والأعمدة والنشاب**"[4]، كما برع الأفارقة في صناعة السفن والقوارب زمن سني علي، الذي شجع على صناعتها وتطويرها نظرا لاستخدامه لها في حروبه التوسعية[5]، واختصت بها قبيلة "جندكت" المستعبدة في عهد الأسكيا مُحَمَّد الكبير[6].

لكن تجارة الرقيق أثرت سلبا على تطور الحرف بالسودان، فقد أدى توظيف المغاربة للرقيق السوداني في أعمال بناء الحواضر مثل حاضرة تيهرت الى تحويل الأيدي العاملة من الصناعة إلى المشاريع الخارجية[7]، وأشار الأصطخري إلى أن أسعار العبيد من أصحاب الحرف والصنائع كانت

[1]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 120.
[2]– عبد الرحمن قدوري، المرجع السابق، ص 162.
[3]– مامودو كان، المرجع السابق، ص 184..
[4]– الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 20.
[5]– عبد الرحمن قدوري، المرجع السابق، ص 162.
[6]– زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 310.
[7]– خالد حسين، المرجع السابق، ص 80.

مرتفعة[1]، ما يدل على القيمة الاقتصادية العالية لهؤلاء داخل المنظومة التجارية، مما شجع على استغلالهم بدل تطوير مهارات الحرفيين المحليين الأحرار، كما أن سياسة تحديد العبيد الحرفيين الموجهين للحرف المحلية والموجهين للتصدير التي أقرتها بعض الأنظمة الحاكمة، خلقت نظاما قسريا كان يعرض فيه الحرفيون للنقل القسري، مما أضعف حرية العمل والإبداع في القطاع الصناعي، وبهذا أسهمت تجارة الرقيق في تعطيل التطور الطبيعي للصناعة المحلية، وتحويلها إلى وسيلة مسخرة لخدمة التجارة السلطة لا لرفاهية المجتمعات المحلية[2].

3- تحول التركيز الاقتصادي نحو تجارة الرقيق على حساب الأنشطة الأخرى:

أدى التركيز المتزايد على تجارة الرقيق في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط إلى تحول كبير في البنية الاقتصادية للمنطقة، حيث أصبحت هذه التجارة المحور الأساسي للأنشطة الاقتصادية على حساب قطاعات أخرى كالزراعة والصناعة المحلية، فقد جذبت تجارة الرقيق أرباحا سريعة ومجزية، مما دفع العديد من الزعماء المحليين استثمار مواردهم جهودهم في أسر الرقيق كما ذكرنا سالفا وبذلك تراجعت الزراعة والصناعة، إذ أصبح الحرفيون أنفسهم يستعبدون ويصدرون نظرا لقيمتهم العالية، كما أشار الأصطخري إلى أن "**أسعار العبيد من أصحاب الحرف والصنائع كانت مرتفعة**"[3].

وفي هذا السياق أصبحت الحرب حاسمة في تسيير اقتصاد ممالك السودان الغربي، بعد أن أضحت مسألة تسخير الرقيق هي الأساس الذي صار عليه الحكام، فلم يعد شن الغارات وسبي القبائل عملا عسكريا بحتا، بل تحول إلى ضرورة اقتصادية، وأصبح غزو القبائل من أجل الرقيق وتسخير حاجات المملكة أمرا ملازما لاستمرار أي نشاط، حتى أصبح الحصول على الرقيق من أهم دوافع الحرب[4]، فبعض الملوك السودانيين في حوض السنغال، كانوا ينظمون حملات عسكرية ضد

[1]- الأصطخري، المصدر السابق، ص 37.

[2]- بطل شعبان، **الحرب و المجتمع في السودان**، ص 224.

[3]- الأصطخري، المصدر السابق، ص 37

[4]- بطل شعبان غرياني، المرجع السابق، ص 121، 123.

بعض الشعوب السودانية التي تسكن في أطراف وداخل الغابات الاستوائية للحصول على حاجتهم من العبيد، وكانوا يجمعونهم في مدينة غانة وتكرور وغيرهما من المدن السودانية، واستعملوا بعضهم للزراعة والبعض الآخر باعوهم للتجار المغاربة[1]، وهذا التوجه حول اقتصاد المنطقة قائم على النهب والتصدير البشري، وأفقد المجتمعات المحلية قدرتها على النمو الذاتي المستدام.

ثالثا: العلاقة بين تجارة الرقيق وتجارة السلع الأخرى:

1- دور الرقيق في تجارة الملح والذهب:

أ- تجارة الملح:

أسهم الرقيق بشكل كبير في تجارة الملح بالصحراء الكبرى والسودان الغربي، فلم تقتصر مكانتهم على كونهم موضوعا للبيع والشراء، بل شمل دورهم المشاركة المباشرة في عمليات الاستخراج والنقل والتبادل.

أشار القزويني إلى أن مناطق إنتاج الملح كانت "**مغطاة بصفائح ملحية وجميع سكانها عبيد مسوفة شغلهم جمع الملح وبيعه**"[2]، ما يبين اعتماد اقتصاد الملح اعتمادا شبه كلي على عمل الرقيق، ووثق ابن بطوطة هذا الواقع، بقوله: "**يعيشون بما يجلب إليهم من تمر درعة ولحوم جمال سجلماسة**"[3]، وهو ما يدل على اندماج هذه الفئة في منظومة تجارية تعتمد على التبادل عبر مسافات طويلة، حيث كان الرقيق يشاركون في انتاج مادة تستخدم لاحقا لمقايضتهم، وكانت قبائل مسوفة المتحكمة في ملاحات تغازة تعتمد على عبيدها في استخراج ألواح الملح[4]، وجاء في رواية شنقيط "**كان التجار يحملون ألواح الملح ويقايضونهم بالعبيد**"[5]، بل إن الملح كان يستخدم حرفيا

[1]- الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص ص 454-455.

[2]- القزويني، المصدر السابق، ص 26.

[3]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 4، ص 241.

[4]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 314.

[5]- الشنقيطي، **الوسيط في التراجم**، ص 522.

لقياس قيمة الإنسان المستعبد **"فإذا صار إلى أهل السودان يجعل تحت قدم العبد مقدار منه نعله فيكون قيمة له"**[1].

وبذلك شكل الرقيق عنصرا حيويا في اقتصاد الملح، ليس فقط كقوة عاملة بل جزء من معادلة تجارية أكثر تعقيدا، تبرز تداخل استغلالهم في دورة انتاج وتبادل واسعة تتجاوز أدوارهم التقليدية في الزراعة أو الخدمة.

ب– تجارة الذهب:

كان للعبيد دور بالغ الأهمية في اقتصاديات ممالك السودان الغربي، لاسيما في مجال استخراج المعادن النفيسة وعلى رأسها الذهب، فقد استغلت مناجم فاليمي (Falémé) وبامبوك (Bambouk)[2] وبوري (Bure)[3] بواسطة العبيد، وكانت هذه المناجم خاضعة لتنظيم محكم من قبل السلطة الملكية، إذ كان الملك يزود العبيد بالنساء والطعام والشراب بل ويربى الأطفال داخل هذه المناجم كما ورد في بعض الروايات التاريخية، وتشير المصادر إلى أن التجار كانوا يمتلكون عددا كبيرا العبيد المسلحين بالرماح والسيوف[4]، ما يدل على أهمية الرقيق ليس فقط في العمل بل أيضا في حماية طرق القوافل التجارية.

---

[1]– الشنقيطي، **الوسيط في التراجم**، ص 522.

[2]– **مناجم بامبوك:** ومنطقة بامبوك تقع في مملكة غانة بين نهر السنغال ورافده الجنوبي، وحاليا تقع جنوب غرب العاصمة المالية الحالية باماكو بحوالي 300 كم بين روافد السنغال العليا ونهر فاليمي، وتعد مناجمها من أهم مناجم السودان الغربي. ينظر: عمرو منصور، **ذهب غرب إفريقيا وعروش الدول الإسلامية من سحر القيام إلى ألام السقوط (140–628هـ/757–1230م)**، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط1، 2021م، ص 49.

[3]– **مناجم بوري:** تقع منطقة بور في أعالي نهر النيجر عند ملتقى فرع النيجر الأعلى مع رافده الصغير المسمى "تنكسيو" (Tinkisso)، كانت بور خاضعة لمملكة مالي الإسلامية لغاية سقوطها، وكان من السهل الوصول إلى مناجمها، كما تتميز بغزارة ذهبها. ينظر: إسماعيل حامد إسماعيل علي، **تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط**، دار المصورات للنشر والتوزيع، الخرطوم، ط1، 2021م، ص 68.

[4]– جاك تيري، **تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى**، ترجمه، جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهرية، ط1، ص ص 662-663.

واشتغل السكان المحليون القاطنين بمناطق إنتاج وتمركز الذهب في استخراجه، وهو ما ذكره البكري مثلا عند حديثه عن ملك غانة الذي كان يسيطر على مناجم الذهب الخاضعة لنفوذ مملكته[1]، فكان العبيد من بين العاملين على استخراج الذهب؛ الرجال يقومون بعملية الحفر، والنسوة وأطفالهن يقمن بغسل الركاز وتنقيته ونقله[2].

وتؤكد جميلة بن موسى هذا الدور الحيوي بقولها: "**إن الرقيق استخدموا في العديد من المناجم لاستخراج الملح والذهب والأحجار الكريمة**"، مضيفة أن الرقيق ساهموا في "**جلب الذهب مع أسيادهم من السودان**"[3]، مما يبرز اندماجهم الكامل في المنظومة الاقتصادية والتجارية آنذاك، سواء بوصفهم أدوات إنتاج أو جزءا من البنية الأمنية والاجتماعية للتجارة.

3- تأثير تجارة الرقيق على شبكات التجارة الإقليمية:

تعد تجارة الرقيق من أبرز العوامل التي ساهمت في تشكيل شبكات التجارة الإقليمية وتعزيز مراكزها الحيوية، فقد جعلت من مدينة ورجلان مركزا حضاريا وقطبا اقتصاديا واعدا، استطاع الربط بين مختلف الحواضر والأقطار عبر طرق تجارية نشطة متنوعة[4]. ومن أبرز هذه الطرق طريق تكرور- جزيرة أوليل، الذي شهد ازدهارا كبيرا، وأشار الإدريسي إلى أهميته، بقوله: "**يسافر إليه أهل المغرب بالصوف والنحاس ويخرجون منه بالذهب والخدم**"[5].

ولم يقتصر دور الرقيق على كونهم سلعة فحسب، بل شارك العديد منهم في التجارة العابرة للصحراء مكان أسيادهم[6]، مما زاد من اندماجهم في الشبكات الاقتصادية، كما استخدم الرقيق في

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 874.

[2]- عمرو منصور، المرجع السابق، ص 54.

[3]- جميلة بن موسى، ذهب السودان ودوره في تجارة المغرب الإسلامي، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 9، ع 2، ص: 100.

[4]- مُحَمَّد بن عربة وأحلام بوسالم، دور مدينة ورجلان في تجارة الرقيق، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 4، ع 1، جانفي 2021، ص 95.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

[6]- خالد حسين مجمود، المرجع السابق، ص: 108.

أنماط من المقايضة، حيث كانت تقايض الأحصنة بالعبيد وكذلك الملح كما أشرنا سابقا، مما يبرز الدور المتعدد الأبعاد لتجارة الرقيق في دعم وتوسيع الإقليمية عبر العصور.

يتضح من خلال ما سبق أن تجارة الرقيق لم تكن مجرد ظاهرة إنسانية، بل شكلت ركيزة اقتصادية محورية في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط. فقد ساهمت في تنشيط الاقتصاد المحلي وتوسيع حركة التبادل التجاري، لكنها في المقابل لأحدثت اختلالات في البنية الانتاجية بفعل استنزاف اليد العاملة وتراجع الزراعة والصناعات التقليدية. كما كشفت العلاقة الوثيقة بين تجارة الرقيق وتجارة السلع الأخرى عن اندماج هذه الظاهرة في شبكة واسعة، ما يبرز الأثر الذي خلفته تجارة الرقيق على اقتصاد المنطقة في تلك الحقبة.

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية

امتدت آثار تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط إلى المجال الاجتماعي، إذ ساهمت في تفكك الأسر وتغير التركيبة السكانية، كما أدت إلى تحولات في النظم القبلية من خلال تفكك بعض القبائل وتغير أدوار الزعامات المحلية إلى جانب ذلك، اضطلع الرقيق بأدوار مختلفة داخل المجتمع، شملت الأعمال الزراعية والمنزلية، وبلغت حد المشاركة في التشكيلات العسكرية.

أولا: تأثير تجارة الرقيق على التركيبة السكانية:

1- تفكك الأسر:

أدت تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط الى تفكك وتدمير البنية الاجتماعية للمجتمعات المحلية، حيث كانت هذه التجارة قائمة على السبي والاختطاف، ما أفضى إلى تمزيق الروابط العائلية؛ فقد أشار بعض المؤرخين إلى أن الغزاة كانوا يسبون أهلها ويجلبونهم إلى بلادهم فيبعيونهم من التجار الداخلين إليهم، فيخرجونهم التجار إلى سائر البلاد[1]، وهو ما يعكس حجم التفكك الأسري الناتج عن هذه العمليات.

ولم يقف الأمر عند حدود السبي، بل تجاوزه إلى مساهمة بعض الأهالي في بيع أقاربهم نتيجة الفقر أو الضغوط، كما أشار الشنقيطي بقوله: "**إنهم كانوا يبيعون أولادهم فيها**"[2]، وتكمل صورة هذا الانهيار الأخلاقي والاجتماعي رواية الحميري، الذي ذكر أن المسافرون لبلادهم يسرقون أبناء الزنوج بالتمر ويخدعونهم به، فينقلوهم من مكان إلى مكان حتا يقبضوا عليهم و يخرجونهم من بلادهم الى بلادهم[3]، ويقصد هنا التجار المصريين القادمين الى السودان الغربي، وتدل هذه الشهادات مجتمعة على أن تجارة الرقيق لم تكن مجرد ظاهرة اقتصادية، بل كانت أداة لهدم الأسرة والروابط الاجتماعية في مجتمعات السودان الغربي.

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 19.

[2]- الشنقيطي، المرجع السابق، ص 522.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص 74

وتنبغي الإشارة إلى ملاحظة هامة جدا بخصوص مفهوم العبودية في السودان الغربي، فمصطلح "العبد" يعني "الشخص الفاقد لملكية نفسه، والواقع تحت ملكية سيده"، وما نجده في السودان العكس إذ أن العبد يحتفظ بالكثير من حقوقه الاجتماعية، ويرتقي لأعلى المناصب في الدول كقواد كبار أو زعماء عرفوا باسم "فنفا" (Fanfa) أيام حكم الأساكي تحكموا في قرى زراعية كبيرة تعج بالعبيد، وكان عبيد القرى يتمتعون ببعض الحرية، ما كان عليهم إلا دفع ضريبة محددة لمالكهم، ويخصصوا بضعة أيام ليشتغلوا فيها لحسابهم الخاص[1].

كما أن ظاهرة العبودية لم تكن مطلقة فكان هناك العتق خاصة ما تعلق بعبيد البيت، الذين تحقق شرط أقدميتهم بأربعة أجيال عند الماندينغ، لكن يفقدون هذا الشرط إذا كانوا في طائفة حرفية[2]، وكان عتق العبد من الأمور المستحبة في سنغاي لأنها من الأعمال الخيرية التي اسحبها الله سبحانه وتعالى، فقد أعتق الأسكيا داوود سبعة وعشرون عبد من أسرة واحدة من بين الخمسمئة عبد الذين ورثهم من تركة عبده زنك موسى سفنسار، لأن السيد هو المالك الشرعي للعبد وممتلكاته في الاطار القانوي الذي ينظم العلاقة بينهما[3].

2- تغيير التركيبة السكانية للمنطقة:

خلال العصر الوسيط، أدت تجارة الرقيق في منطقة السودان الغربي إلى تغييرات عميقة في التركيبة الديموغرافية للمجتمع. فقد أدى السبي المنظم والاتجار المنهجي بالبشر إلى استنزاف واسع للفئة الشابة، خصوصا من الرجال والنساء في سن العمل، ما أخل بالتوازن العمري والجنسي داخل المجتمعات، كما تسببت الغارات المتكررة في نزوح سكان بعض المناطق واختفاء القرى بأكملها، مما أدى غلى خلل واضح في التوزيع السكاني و العمراني. وقد أشار الزهري إلى بعض هذه الغارات

[1]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 315-316.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 102.

[3]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج 1، ص ص 319-320.

بقوله: "**وأهل تادمكة يغيرون على أرض بربرة، قبيلة من جناوة**"[1]، في إشارة إلى الممارسات العنيفة التي ساهمت في زعزعة الاستقرار السكاني.

ومن جهة أخرى أسهم اندماج عناصر سكانية وافدة من العرب والأمازيغ وغيرهم سواء كأسياد أو كتجار أو عبيد محررين، في ادخال مكونات سكانية وثقافية جديدة، ما غير من الهوية السكانية التقليدية للمنطقة. ويؤكد ذلك الهادي مبروك الدالي، بقوله: "**وقد استقر التجار الوافدون من مصر والمغرب حتى صار السكان خليطا من مختلف العناصر**"[2]، وهو ما يبرز الأثر العميق لحركة البشر والتبادل التجاري في إعادة تشكيل البنية السكانية.

ولعل الأثر الأشد وقعا كان في تفكك الأسر وفقدان الروابط القبلية خاصة مع تزايد حالات بيع الأطفال واختطافهم، وهو ما أشار إليه بعض المؤرخين مثل الشنقيطي والحميري في وصفهم للممارسات التي طالت المجتمعات الزنجية في ظل هذا النشاط العابر للصحراء.

ثانيا: التغيرات في النظم الاجتماعية والقبيلة

1- تفكك بعض القبائل واندماج أخرى:

ساهمت تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط في إحداث تحولات بنيوية داخل المجتمع، حيث أدت الى تفكك بعض القبائل واندماج أخرى، حيث كانت القبائل الضعيفة عرضة للغارات والاستعباد، ما دفع بعضها الى الهجرة والاحتماء بقبائل أكثر قوة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك نزوح قبائل الماندجو بعد تعرضها لهجمات متكررة من قبائل الطوارق والموشي وسبيهم[3]، الأمر الذي اضطرها إلى ترك مواطنها واندماج في مجتمعات أخرى لضمان البقاء.

وفي السياق ذاته ظهرت تحالفات جديدة بين السكان الأصليين والجماعات الغازية كما حدث مع قبائل ضياء العربية، التي يشير دالي الهادي أنها غزت المنطقة ونشأت بينها وبين السكان الأصلين

[1]- الزهري، **الجغرافية**، المرجع السابق، ص 126.

[2]- مبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 294.

[3]- بطل شعبان غرياني، المرجع السابق، ص 277.

علاقات مصاهرة[1]، مما يدل على نشوء بنى اجتماعية جديدة قائمة على التعايش والمصلحة. هذا التداخل بين القبائل المحلية والوافدة، سواء كان ناتجا عن الغزو أو المصاهرة أو الحاجة إلى الحماية كقبائل السوننك، أسهم في إذابة البنى القبلية القديمة وظهور هويات مركبة، عكست التحولات العميقة التي فرضتها تجارة الرقيق على التوازنات السكانية في المنطقة[2].

2- تغير أدوار الزعامات المحلية:

تحول دور الحكام في العصر الوسيط من حاكم لمملكة إلى مشارك جذري في تجارة الرقيق، حتى أصبح الدور السياسي التقليدي مرتبط مباشرة بالنشاط الاقتصادي والعسكري.

أولا: كان سلطان برنو مثالا بارزا على هذا التحول؛ إذ لم يكتف بشراء السلع الفاخرة من التجار الأجانب، بل نظم بنفسه حملات عسكرية منتظمة لأسر الرقيق بغرض مبادلتهم وبيعهم[3]، فصارت الحروب أداة لتحقيق أرباح مادية وليست مجرد نزاعات حدودية أو صراعات على الشرعية

ثانيا: دأب ملوك الممالك السودانية على غرار مالي وسنغاي على شن غارات موسمية ضد القبائل المجاورة بهدف الحصول على العبيد -لم تكن غارات عشوائية بل كانت مدروسة- وبيعهم ومقايضتهم مع التجار الشمالين مقابل الخيول[4]، وهو ما يوضح اعتمادهم على سلسلة متصلة من الحملات والأطراف الوسطية لتعظيم ثراءهم، ومن هنا ارتبطت مكانة الزعيم بمدى نجاحه في الحفاظ على تدفق العبيد، فغذت ثروته ومكانته.

ثالثا: في منطقة حوض نهر السنغال تطورت هذه الظاهرة إلى درجة أكثر تنظيم، فقد نظم بعض الملوك حملات عسكرية منتظمة على القبائل المحاذية، مواصلين عمليات الأسر إلى الحين الوصول للكمية المطلوبة من العبيد[5]، ثم يدمجون هؤلاء العبيد في شبكات التجارية عن طريق البيع أو

---

[1]- مبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 91.

[2]- بطل شعبان غرياني، الحرب والمجتمع في السودان، ص ص 188- 190.

[3]- مادهور بانكيار، المرجع السابق، ص 396.

[4]- الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص 457..

[5]- مُحَمَّد غرياني، المرجع السابق، ص 39.

المقايضة كما أشرنا سابقا، وهذا يؤكد تحول هؤلاء الحكام من قيادات قبلية تقليدية إلى فاعلين رئيسين في منظومة تجارة الرقيق.

وفي إشارة أخرى من ياقوت الحموي على هذا التحول، قال: "**ويده مطلقة يسترق من يشاء من رعاياه**"[1]، هذه المقولة تشير تحول أدوار الزعمات المحلية من الحكم تقليدي إلى دور استغلالي، حيث أصبح الحاكم يتعامل مع رعاياه كسلع في أسواق تجارة الرقيق.

ثالثا: أدوار الرقيق في المجتمع:

1- الأعمال المنزلية والزراعية:

أ- الأعمال المنزلية:

شكل الرقيق جزءا مهما من الحياة المنزلية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط، حيث كانت الأعمال المنزلية من بين المهام الأساسية وكلت إليهم، خاصة النساء فقد تولت الجواري أعمالا مثل الطهي، وتنظيف المنازل، وتقديم الطعام في لبيوت والقصور، وتذكر بعض المصادر أن النساء السودانيات كن معروفات بمهارتهن في الطبخ، وقد أعجب رجال مدينة أودغشت بطعامهن، وخاصة الحلويات التي كن يحسن إعدادها[2]، كالثريد والذي يسميه أهل إفريقيا بالفطير وهو من أجل أطعمتهم يعمل بالدجاج السمان أو لحم الغنم السمين مع فتات الفطير وتوابل خاصة بالأكلة والسمن والزبدة واللوز والزيتون والبيض للتزيين[3].

وأشاد البكري بمهارة الطباخات السودانيات بأودغشت، بقوله: "وبها سودانيات طباخات محسنات تحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطائف وأصناف الحلويات وغير ذلك"[4]، وقد نقلت الطباخات السودانيات هذه المهارة في الطبخ لفاس في الحفلات والأعراس[5]. كما أشار ابن

---

[1]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 142.

[2]- جاك تيري، المرجع السابق، ص 665.

[3]- مؤلف مجهول، **الطبيخ في الأندلس والمغرب في عصر الموحدين، تح: أمبروزيو هويثي ميراندا**، د.د، د.ت، ص 183.

[4]- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 271.

[5]- مَامُودُو كان، المرجع السابق، ص 274-275.

بطوطة إلى أن إحدى الجواري كانت مسؤولة عن تقديم الطعام له في منزل أحد الملوك[1]، ما يعني الاعتماد على الرقيق في خدمة الضيوف، ويروى كذلك أن الجواري في بلاط ملك مالي كن يحملن الطعام إليه في رمضان، وكن في بعض الأحيان يخرجن عاريات[2]، مما يعكس طبيعة حياتهن في القصور وتقاليد البلاط. كل هذا يبين أن الرقيق وخاصة النساء كانوا يؤدون دورا محوريا في تنظيم الشؤون الداخلية للمنازل، وكان يعتمد عليهم بشكل كبير في الحياة اليومية.

ب- الأعمال الزراعية:

من الآثار الاجتماعية لنظام الرق في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، أن برزت فئة الرقيق كعنصر أساس في التركيبة المجتمعية، لاسيما في المجال الزراعي الذي ارتبط بوضعهم الطبقي، فكان الملك يملك ضياعا ومزارع مترامية الأطراف يعمل فيها العبيد؛ وهو ما أوجد تمايز اجتماعيا حادا بين طبقة المالكين وطبقة العمال المستعبدين، وتظهر طبيعة هذا الانقسام في تسمية هذه الفئة عبيد المجتمع، وهي طبقة تضم الفلاحين والعمال اليدويين، الذين لم يقتصر دورهم على الزراعة فحسب، بل كان الجيش يستعين بهم كمشاة وقت الحرب[3]، ما يعكس وضعهم المتدني داخل البنية الاجتماعية؛ كما عمل العبيد في مزارع النبلاء والتجار[4]، ما رسخ تبعيتهم للطبقات العليا، فمهمة العبيد لم تكن مجرد عمل زراعي بل كانت وظيفتهم جزءا من بناء مجتمع جعلهم يتدلون الهرم المجتمعي، ورسخ الطبقية في المجتمع السوداني في العصر الوسيط[5].

وكان العبيد السود في مدينة أودغشت يقومون بمختلف الأنشطة والخدمات كالبستنة أو تربية المواشي أو خدمة البيوت أو القوافل أو البناء وغيرها من الأعمال، لذا كان أهل أودغشت بحاجة دائمة لاستيراد الرقيق، مما جعل من المدينة واحدة من أكبر أسواق تجارة العبيد حينها، وكان معظم

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 271.

[2]- جاك تيري، المرجع السابق، ص 665.

[3]- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 334، 301.

[4]- مُحَمَّد الغربي، المرجع السابق، ص 471.

[5]- الحسين ولد الناني، المرجع السابق، ص ص 256-257.

تجارها من إفريقية المتحالفين مع الممالك السودانية، وهو ما يفسر امتلاكهم للأعداد الكبيرة من العبيد السود، قصد تجميعهم ثم بيعهم لتجار الشمال.

2- دور الرقيق في الجيوش:

كان للرقيق في ممالك السودان الغربي خلال العصر الوسيط حضور فعال في للجيش، حيث اعتمدت المماليك السودانية على العبيد في دعم الجيش وتأمين الحراسة الخاصة؛ فقد كان رقيق السودان جنودا لصالح الملك، يستعملون في الحملات الحربية وفي حماية المملكة داخليا، وتشير بعض المصادر الى أن الملك يستخدم الخصيان لحراسة عشيقاته[1]، ما يوضح أيضا توظيف الرقيق في الأدوار الأمنية الخاصة داخل القصور.

كما أن جيش مملكة غاو كان يتكون من الرقيق، وهي دلالة على مدى تغلغل هذه الفئة في البناء العسكري الرسمي، مما يعكس وضعهم الاجتماعي كمملوكين لا كأفراد أحرار، ومن أبرز الأمثلة على دورهم القيادي أن الأسكيا مُحَمَّد الحاج كان قائدا مملوكا لدى الملك علي الكبير[2]، وهو نموذج لحالات استثنائية استطاع فيها بعض الرقيق الوصول إلى مناصب عسكرية عليا، رغم وضعهم المستعبد.

أما في بلاد المغرب الإسلامي فقد استورد الحكام المغاربة العبيد السود من أجل استخدامهم كحرس وفي الجيش ابتداء من القرن 2هـ/8م، فقد اتخذ الأغالبة وبنو مدرار العبيد السودانيين كجند بدلا عن الجند العرب، وحتى عبيد الله المهدي اتخذ العبيد من السودان بعد بيعته[3]، ونجدهم أيضا في الجيشين المرابطي بكتيبة خاصة بلغت حوالي ألفي سوداني، اشتراهم يوسف بت تاشفين سنة 464هـ/1071م ألفي عبد[4]، واشترك معه في معركة الزلاقة 479هـ/1086م أربعة آلاف عبد، وكان عددهم في جيش الناصر مُحَمَّد بن يعقوب الموحدي ثلاثين ألفا في معركة العقاب 609هـ/1212م،

[1]- جاك تيري، المرجع السابق، ص 662، 668. .

[2]- نعيم قداح، **أفريقيا في ظل الإسلام**، ص 102، 114.

[3]- أماني قطب، المرجع السابق، ص ص 135-136.

[4]- مامودو كان، المصدر السابق، ص 192.

وشاركوا في الجيش الموحدي وقتل عبد المؤمن بن علي نحو ثلاثة آلاف من سودان أغمات في عام البحيرة، وكان ليوسف بن سليمان أحد أصحاب مُحَّد بن تومرت عدد كبير في السوس[1]، وحتى الزيريون اهتموا بشراء العبيد السودانيين[2]، وذكر السعدي أن المنسا موسى كان يصحب معه 500 عبد إذا ركب، وأضاف محمود كعت أن المنسا موسى عندما خرج للحج سنة 724هـ/1324م كان معه ثمانية آلاف وسبع مئة عبد في رواية أخرى 9 آلاف[3].

وعمل رقيق السودان كحراس مسلحين في القصور والقصبات وأمام الحصون في المغرب والأندلس، كما كان البعض منهم في كتيبة السرايا المرافقة للحاكم المغربي، ومنهم عبيد المخزن من بقايا رقيق السودان عهد المرابطين، وكان لهم دور في إسقاط مراكش عهد الموحدين[4].

أما بخصوص حجم تجارة الرقيق بين بلاد المغرب والسودان الغربي لم تكن بأعداد ضخمة كما صورته المصادر الأجنبية، لأنها لا تشبه أبدا حجم تجارتها مع الأوربيين، وحتى ظروف نقل للشمال كانت إنسانية ليس كالأوربيين الذي عاملوهم معاملة البهائم، واعتبروهم فئة أقل منهم بكثير، فكما نعلم قد وصل الكثير من الرقيق السوداني لمناصب عليا في الجيش، ومنهم من تولى مهام سياسية وإدارية، أما عن أعداد العبيد السود في الأسواق المغربية فلم تحدد لنا المصادر أعدادهم، رغم أن الباحثين الغربيين ضخموا حجم تجارة الرقيق خلال العصر الوسيط، فذكروا بأن أعداده وصلت لغاية 20.000 عبد سنويا حسب رايموند موني (Raymond Mauny)، بمعدل مليوني عبد كل قرن[5]، وهذا أمر مبالغ فيه لأنهم لو كانوا بهذه الكثرة لوجدنا اللون الأسود الغالب على بشرة سكان الشمال الإفريقي، فتجارة الرقيق كانت أقل أهمية مما يتصوره البعض، لأن هناك سلع سودانية أكثر رواجا منها وهي الذهب.

---

[1]- حسين بوبيدي، **مطبوعة علاقات الغربي الإسلامي**، ص ص 117-118.

[2]- أماني قطب، المرجع السابق، ص 136.

[3]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 56.

[4]- مامودو كان، المصدر السابق، ص ص 192-193.

[5]- الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص 240.

ورغم الكثير من الجوانب الإنسانية المؤلمة لتجارة الرقيق، إلا أنها أدت في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط إلى بعض آثار الإيجابية، لبعض المماليك بفضل الضرائب المفروضة على القوافل التجارية[1]، كما شهدت بعض المناطق الافريقية الاقتصادية مثل جني وتمبكتو تدفق للسلع بفضل تجارة العبيد وكسبت شهرة[2]، كما ساهم ادماج الرقيق في الجيش في تقوية الجيش[3] .

يتبين من خلال ما سبق أن تجارة الرقيق خلفت آثارا اجتماعية في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، إذ ساهمت في تفكك البنية الأسرية وتغير التوازن الديموغرافي في المنطقة، كما أدت إلى التحولات في النظم القبلية وأدوار الزعامات المحلية التقليدية، بينما اندمج الرقيق في مختلف الحياة اليومية مما جعلهم عنصرا فعالا داخل المجتمع.

[1]- بطل شعبان، الحرب **والمجتمع**، ص 240.

[2]- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى**، ص 341.

[3]- جاك تيري، المرجع السابق، ص 262.

المبحث الثالث: الآثار الثقافية والدينية

أثرت تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط على المشهدين الثقافي والديني بشكل واضح، حيث ساهمت في انتشار الإسلام ونقل تعاليمه إلى المجتمعات المحلية، وكان للرقيق دور في نشر الثقافة الإسلامية. كما أدى تفاعلهم مع المجموعات المختلفة إلى تبادل ثقافي بين العرب والسودانيون، نتج عنه ظهور عادات جديدة واندثار أخرى، ما يبرز الأثر العميق لهذه التجارة في البنية الثقافية للمنطقة.

أولا: تأثير تجارة الرقيق على انتشار الإسلام:

1- الرقيق ونقل الثقافة الإسلامية:

كان للرقيق تأثير كبير في نقل الثقافة الإسلامية إلى السودان الغربي، لاسيما بعد أن عاش بعضهم مناطق واكتسبوا طبائعها وعاداتها، ثم عادوا إلى ديارهم بعد عتقهم. وقد حمل هؤلاء معهم ما تعلموه من قيم دينية وسلوك حضاري، خاصة ما يتعلق بمعاملة الأبرياء في الحروب، وتعاليم الشريعة الإسلامية[1].

ومن أبرز أمثلة على ذلك الملك صندكي (790-793هـ/1388-1391م) أحد ملوك مالي، الذي كان في الأصل عبدا ثم اعتق وتعلم بيئة إسلامية، وعند توليه الحكم طبق ما اكتسبه من ثقافة إسلامية في سياسة دولته[2]. ويذكر ابن بطوطة في رحلته إلى مالي مثالا حيا لهذا التأثير، حيث قال: **"جاءت إلينا جارية عربية دمشقية، فتحدثت معها بالعربية"**[3]، مما يدل على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية حتى في البيوت الخاصة، بفضل الجواري والرقيق الوافدين من البلاد الإسلامية.

---

[1]- رضوان هواري، المرجع السابق، ص 16.

[2]- المرجع نفسه، ص: 17.

[3]- ابن بطوطة، ج 4، المصدر السابق، ص: 271.

2- تأثير الإسلام على حياة الرقيق والمجتمعات المحلية:

أوجد الإسلام نظاما لتحرير الرقيق، ومن أبرز مظاهره " **المكاتبة**"، حيث يعطي العبد الحق في الاتفاق مع سيده على دفع مبلغ معين مقابل حريته، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿**فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ**﴾[1]، وقد أدى دخول عدد كبير من السودانيون في الإسلام إلى تحفيز بعض العلماء والدعاة المسلمين على معارضة استرقاق المسلمين، والدعوة إلى معاملتهم بالحسنى وتحريرهم إن أمكن، ومن جهة أخرى، كان لموقف رجال الدين المناهض لتجارة الرقيق الظالمة أثر بالغ في نفوس العبيد، إذ رأوا في الإسلام عدالة ورحمة، فكان ذلك دافعا لكثير منهم لاعتناق الإسلام طوعا[2].

كما أثر الإسلام في أنظمة الحكم داخل الممالك الكبرى مثل غانة ومالي، حيث تغير نظام الوراثة من أبناء الأخوات إلى أبناء الذكور[3] بما يتماشى مع التعاليم الإسلامية، وكان نظام الزواج في المجتمعات الإفريقية قبل الإسلام يتسم بعدم التنظيم، حيث لم يكن للرجل أو المرأة زوج بالمعنى المعروف، بل كانت تتم العلاقات لشكل غير منظم أو مضبوط لأحكام واضحة.

ومع دخول الإسلام إلى تلك الديار، تغيرت هذه العادات تغيرا كبيرا، إذ أدخل الإسلام نظاما شرعيا يقوم على العقد والرضا، مما ساهم في تنظيم العلاقات الأسرية[4]، لدى السكان أو الرقيق على حد سواء. كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[5]، مما يدل على حرص الإسلام على بناء أسر مستقرة تشمل جميع الطبقات.

---

[1]- سورة النور، الآية 33.

[2]- نعيم قداح، المرجع السابق، ص 102.

[3]- المرجع نفسه، ص 104.

[4]- الهادي مبروك الدالي، **التاريخ الحضاري لأفريقيا**، ص 46.

[5]- سورة نور، الآية 32.

ثانيا: دور الرقيق في نقل الثقافات والعادات:

1- التفاعل بين الثقافات الأفريقية والمغاربية:

أسهم الرقيق في السودان الغربي في نقل العديد من العادات الثقافية من العالم العربي، لاسيما في مجالي المطبخ واللباس، فقد عرف عن ملوك السودان الغربي تناولهم لأطعمة مثل الكسكس والفتات بلحم الغنم، وهي أطعمة ذات أصل مغاربي، ما يدل على تأثرهم بالعادات الغذائية القادمة من شمال إفريقيا عبر طرق التجارة والرقيق[1].

كما تميزت نساء السودان الغربي بمهارتهن في إعداد حلويات مشرقية مثل الكنافة والقطائف، وهي أطباق شاع استخدامها في مصر وبلاد الشام[2]، مما يعكس التأثير الثقافي القادم من المشرق الإسلامي القادم من المشرق الإسلامي عن طريق الجواري أو الرقيق الذين تواصلوا مع هذه البيئات. وفي مجال اللباس، كان السودانيون يرتدون "البرنس"، وهو زي تقليدي مغربي[3]، مما يدل على التمازج الثقافي العميق الذي تحقق من حركة الرقيق والمسافرون والتجار بين بلاد المغرب والسودان الغربي.

2- ظهور عادات جديدة نتيجة الثقافي واندثار بعضها:

شهدت مجتمعات السودان الغربي خلال العصر الوسيط تحولات جذرية في عاداتها وتقاليدها، بفعل التفاعل الثقافي والديني مع التجار والدعاة المسلمين الوافدين من شمال إفريقيا، وخاصة من بلاد المغرب؛ وقد تجلى هذا التغير في اندثار ممارسات وطقوس وثنية شنيعة، مثل أكل لحوم البشر وتقديم القرابين البشرية ووأد الأطفال، وهي عادات استبدلت بتعاليم الإسلام التي حرمت قتل النقس النفس

[1]- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 28.

[2]- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، العراق، ص 216.

[3]- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 36.

بغير حق[1]، امتثالا لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ اَلْنَفْسَ اَلْتِي حَرَمَ اَللهُ إِلَا بِالْحَقْ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي اَلْقَتْلِ إِنَهُ كَانَ مَنْصُورًا**﴾ [2].

كما تغيرت ملامح الحياة اليومية حيث انتقل السكان من حال العري وقلة النظافة إلى مظاهر التأنق والطهارة، استجابة لتعاليم الإسلام في الطهارة واللباس، إذ أَضحى الغسل والتزين للصلاة من السلوكيات الرائجة[3]، مستنيرين بقوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاِشْرَبُواْ وَلَا تَسْرِفُواْ إِنَهُ لَا يُحِبُ اَلْمُسْرِفِينَ** ﴾[4].

ومن صور التأثير الثقافي أيضاما نقله المغاربة إلى السودان من عادات يومية، مثل تغيير نظام تناول وجبة العشاء بعد أن كان يكتفى بالفطائر ثم النوم[5]، وهو ما يعكس تأثر مباشر بعادات الضيوف القادمين من الشمال، وتكيفا مع نمط عيش جديد فرضته الحركة التجارية والدعوية المتزايدة في المنطقة. وانعكس أثر الإسلام في تعزيز قيمة كسب الحلال وطلب الرزق المشروع، مما ساهم في ازدهار بعض الصناعات اليدوية والحرف المرتبطة بالمهن الشرعية[6]، متماشيين مع قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَضَيتَ اَلْصَلَاةَ فَانْتَشِرُوا فِي اَلْأَرْضِ وَاِبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اَللهِ وَاذْكُرُواْ اَللهَ كَثِيرًا لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونْ** ﴾[7].

﴾[7].

ومن تأثير الثقافي للرقيق السوداني على المجتمع المغربي غناء كناوة الذي مزال إلى يومنا هذا، وهو عبارة عن رقصات وأهازيج تركها العبيد في بيوت أسيادهم والمجتمعات التي حلوا بيها[8].

---

[1]- نعيم قداح، المرجع السابق، ص 137.

[2]- سورة الإسراء، الآية: 33، ص 285.

[3]- نعيم قداح، المرجع السابق، ص 137.

[4]- سورة الأعراف، الآية 31.

[5]- مُحَمَّد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ص 612.

[6]- نعيم قداح، المرجع السابق، ص 138.

[7]- سورة الجمعة، الآية 10.

[8]- بوزاد فاطمة، "مساهمة الرقيق في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب المريني"، دورية الكان التاريخية، ع 22، ديسمبر 2023م، ص 155.

يتضح أن تجارة الرقيق لم تكن مجرد نشاط اقتصادي بل شكلت أيضا وسيلة فعالة لنقل الأفكار والمعتقدات والعادات عبر المجتمعات، كما ساهمت في نشر الاسلام وتعزيز حضوره في السودان الغربي، كما ساهم الرقيق في نقل الثقافات بين الشعوب، ما أدى إلى تفاعل حضاري أثمر عن تغيرات واضحة في نمط الحياة والعادات المحلية، سواء من خلال اكتساب عناصر جديدة أو اندثار أخرى.

وأظهرت تجارة الرقيق في السودان الغربي خلال العصر الوسيط آثارا متشابكة شملت الجانب الاقتصادي، وأثرت في التركيبة الاجتماعية والثقافية والدينية للمنطقة، فقد ساهمت في تحريك النشاط التجاري، لكنها أضعفت قطاعات إنتاجية، وأحدثت تغييرات ديموغرافية واجتماعية، كما كان لها دور في نشر الإسلام وتعزيز التبادل الثقافي، ما جعلها عاملا محوريا في تشكيل ملاح المجتمعات المحلية آنذاك.

خـاتمة

بعد دراستنا لتاريخ "**تجارة الرقيق بالسودان الغربي خلال العصر الوسيط**"، اتضح لنا أن هذه التجارة لم تكن مجرد حادثة عابرة، بل كانت جزءا أساسيا من النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمنطقة في ذلك الوقت. فقد لعب الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي، وارتباطه بالمراكز الكبرى في الحضارة الإسلامية، دورا مهما في جعله نقطة مهمة ضمن التجارة عبر الصحراء.

كما تبين لنا أن العوامل الطبيعية مثل المناخ والمياه والطرق البرية ساعدت في ظهور تجمعات قبلية قوية، التي اندمجت في الحركة التجارية، وبعض هذه القبائل تحولت إلى مماليك سيطرت على طرق التجارة التي كانت تستخدم لنقل الرقيق وغيره من السلع.

ساهمت تجارة الرقيق خلال العصر الوسيط في دعم اقتصاد ممالك السودان الغربي عبر مداخيل والضرائب، وأسهمت اجتماعيا في ترسيخ الطبقية وتعزيز سلطة النخبة، فكانت عنصرا فعالا في بناء الممالك و المجتمع.

كما أظهر لنا البحث الدور المهم الذي لعبته الممالك الكبيرة مثل غانة ومالي وسونغاي، حيث استخدمت قوتها العسكرية والتنظيمية للسيطرة على عدد كبير من الناس وتحويلهم إلى سلعة للتبادل التجاري.

ومن العوامل التي شجعت هذه التجارة، الاقتصادية الطلب المتزايد على اليد العاملة، وسياسية تشجيع الممالك للتجارة ودعمها وتنظيمها، وجعلها عنصرا أساسيا في الاقتصاد المحلي.

موقف الفقهاء والعلماء المسلمين والأفارقة من هذه التجارة كان متباينا، فقد أقرها بعضهم ضمن شروط الشريعة كالرق المشروع في الحرب، بينما رفضها آخرون إذ اقترنت بالغصب أو الظلم، مما يعكس وجود وعي ديني وأخلاقي متدرج تجاه هذه الظاهرة.

أما اقتصاديا ساهمت تجارة الرقيق في تقوية خزائن الممالك عبر فرض الضرائب وسيطرة على السوق، لكن هذا جاء على حساب الزراعة والصناعة المحلية بسبب نزوح السكان القادرين العمل أضعف النشاط الاقتصادي؛ أما المراكز التجارية فقد ظهرت مراكز تجارية جديدة موسمية و عابرة للحدود.

تجارة العبيد رغم أنها عززت مداخيل المماليك إلا أنها أثرت سلبا على النشاط المحلي، أما من جانب الاجتماعي سببت تجارة الرقيق تفكك الأسر والقبائل وأثرت على تركيبة السكان في مناطق واسعة، حيث شكلت أنماطا من العبودية المرتبطة بالحروب والاستعباد القسري.

كما ظهرت طبقات اجتماعية جديدة منها من كانوا خدما للأثرياء والحكام في الحقول والمنازل والجيش، كما قضت تجارة الرقيق على الروابط الاجتماعية التقليدية بين الأفراد والقبائل.

من الناحية الثقافية، لم يكن الرقيق مجرد أدوات للعمل، بل كانوا حاملي ثقافات ولغات وتقاليد من مجتمعاتهم الأصلية، نقلوها معهم إلى مجتمعاتهم الجديدة، وساهم التداخل الثقافي في خلق نوع من التعدد و التنوع داخل المجتمع السوداني، مما أدى إلى بروز هوية ثقافية مختلطة في المنطقة.

أما من الجانب الديني، فقد ساهم الرقيق بدور فعال في نشر الإسلام، سواء بتأثرهم هم نفسهم بالدعوة الإسلامية أو بمشاركتهم في حمل هذه الدعوة إلى مجتمعاتهم، وتبين لنا أن تجارة الرقيق رغم قسوتها إلا أنها ساعدت على توسيع رقعة انتشار الإسلام وتعزيز حضوره داخل المجتمع السوداني.

إن ما توصلنا إليه من خلال استنتاجات السابقة أن تجارة الرقيق ساهمت في إعادة هيكلة المجتمع السوداني في جميع الميادين، وجعلت من الإنسان سلعة خاضعة لمنطق القوة والهيمنة. وهو ما يدعوا إلى إعادة النظر في تاريخ المنطقة بمنهج يعطي للمجتمع السوداني دوره التاريخي الحقيقي، بوصفه فاعلا وليس مجرد موضوع للاستغلال.

الملاحـق

الملحق (01)

خريطة بلاد السودان الغربي

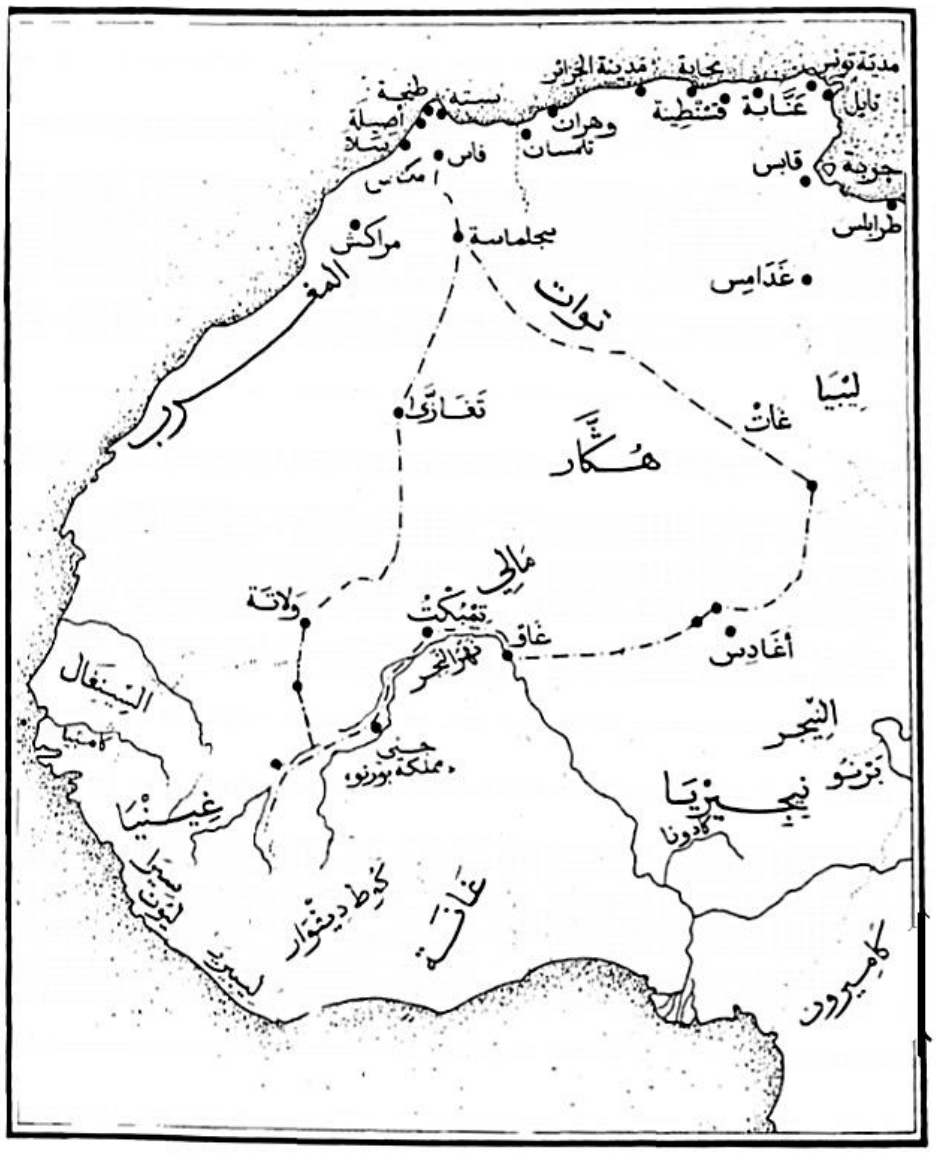

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تق تح: عبد الهادي التازي، مج: 04، 1997، ص 236.

الملحق رقم (02)

خلايطة قبائل السودان الغربي:

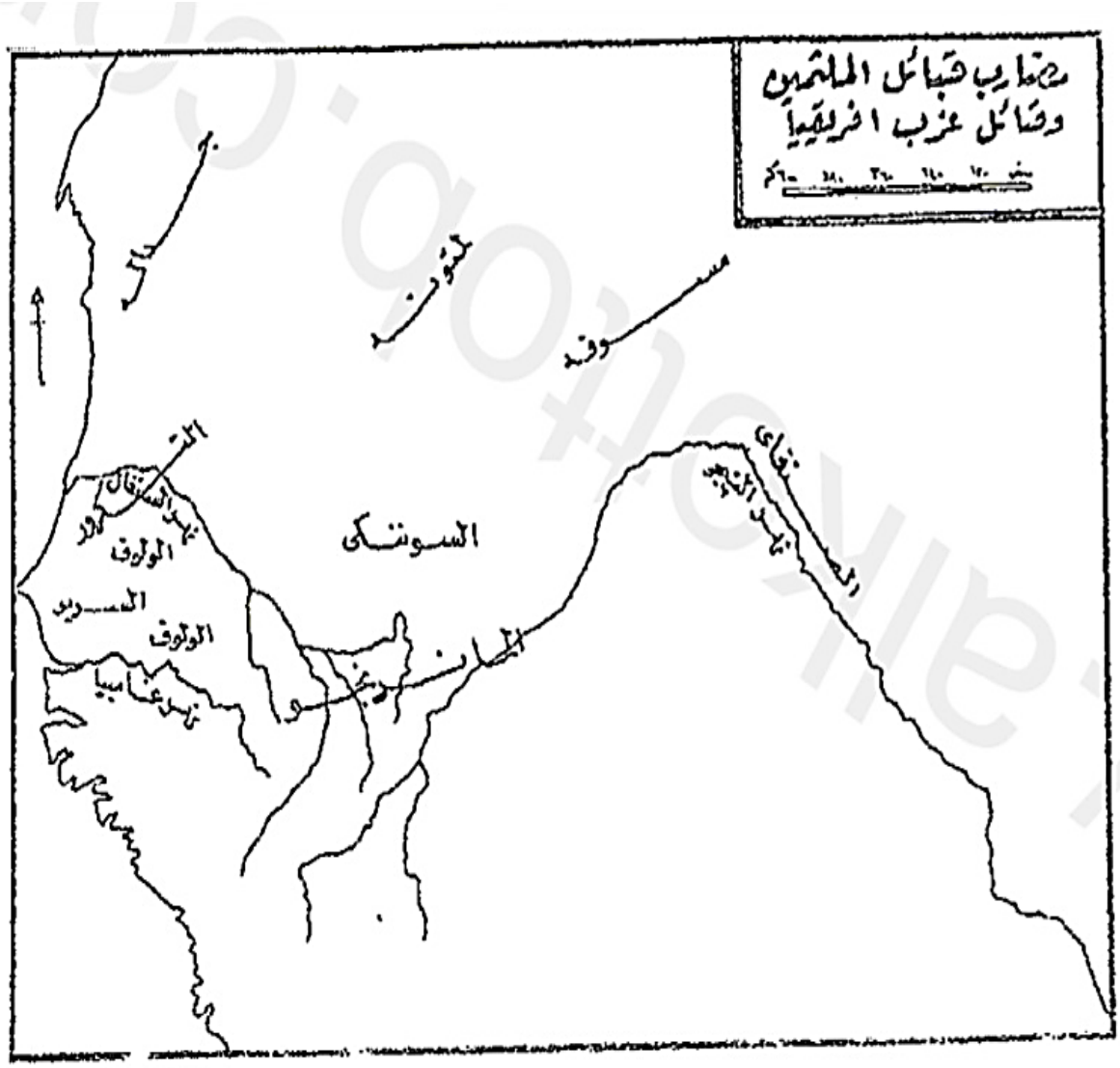

عصمت دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا 430–515هـ/ 1038–1121م، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ط1، ص 31

الملحق رقم (03)

صورة تمثل قوافل الرقيق

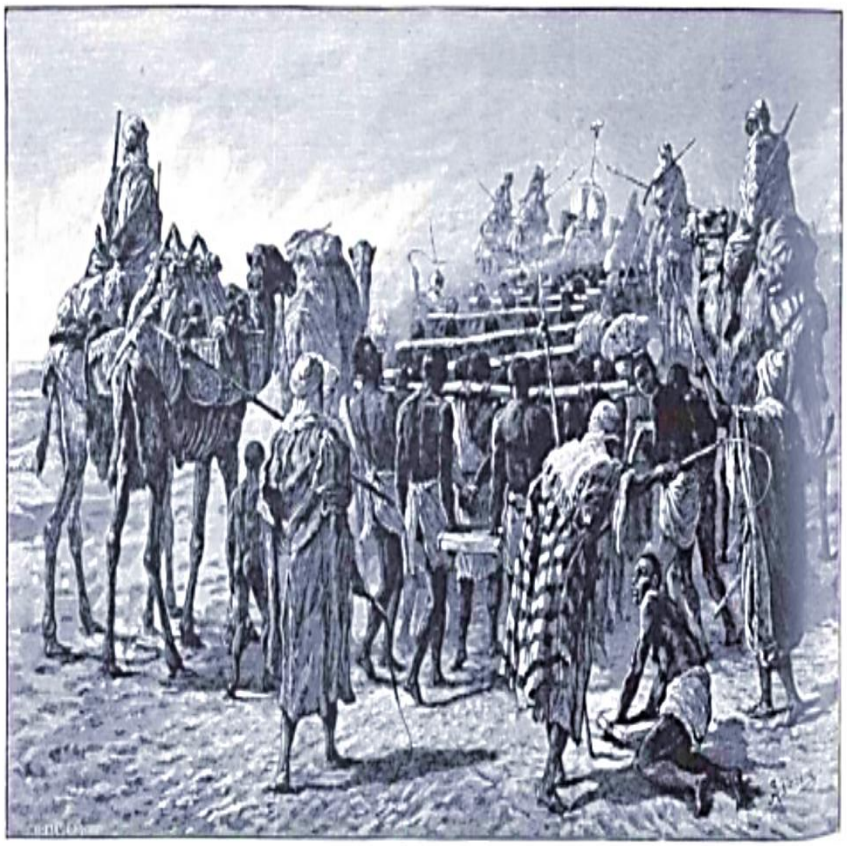

Hammand Peter, Slavery Terrorisme and Islam ,p07

الملحق رقم (04)

خريطة الطرق التجارية بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي

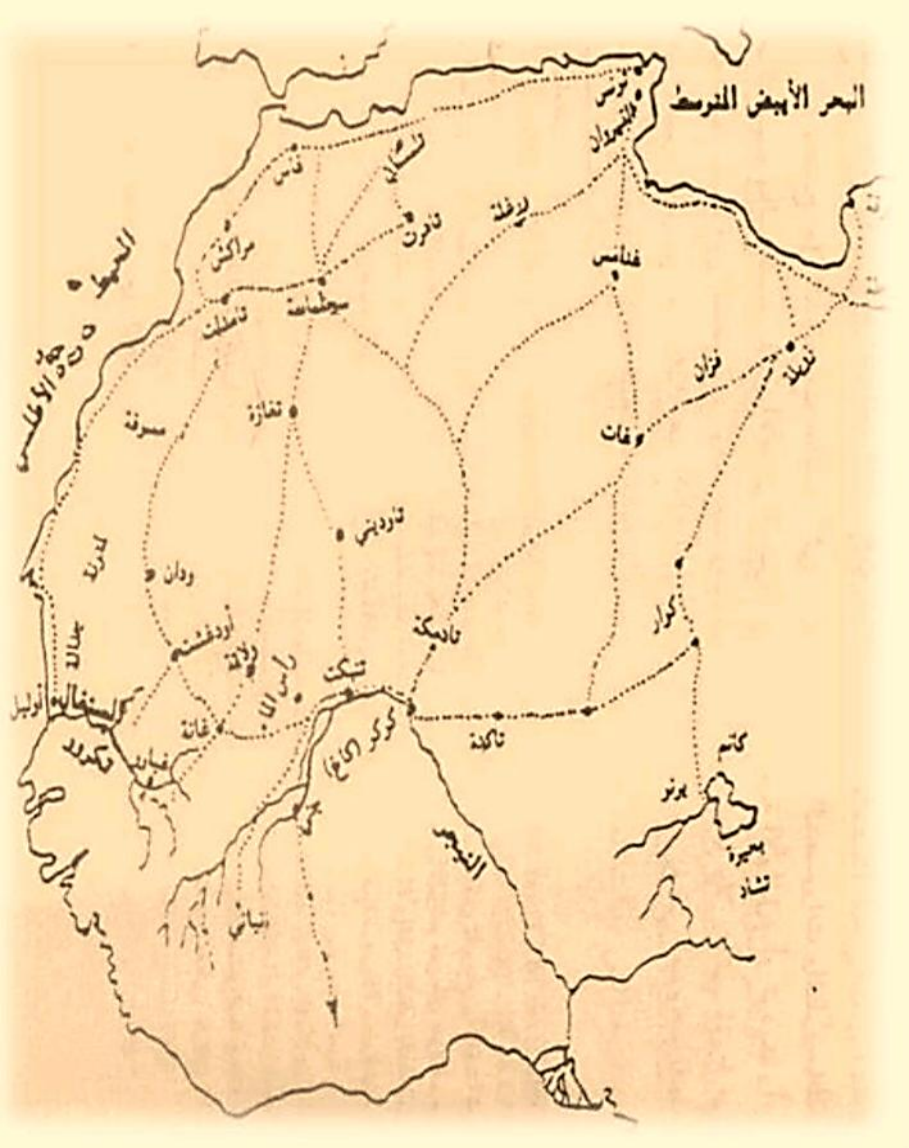

نقلا عن: فاطمة بلهواري، "العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مجلة كان، السنة الثالثة، العدد العاشر، ص: 35.

الملحق رقم (05)

خريطة مدن السودان الغربي

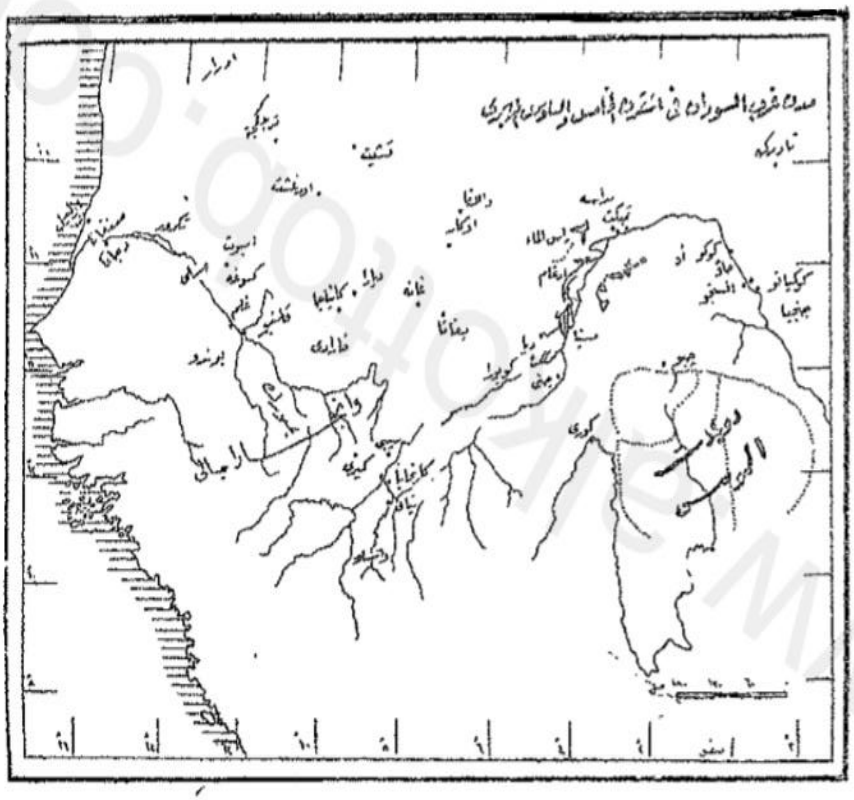

نقلا عن: عصمت دندش، ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا 430–515هـ/ 1038–1121م، ص 102.

ثبت
المصادر والمراجع

1.القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر:

1. الإدريسي أبي عبدالله الشريف (**ت: 559هـ/1666م**)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد، القاهرة، 2002، مج 1.
2. الأصطخري أبي إسحاق إبراهيم (**توفي حوالي 346هـ/1094م**)، **المسالك والممالك**، مطبعة ليدن، 1927م.
3. ابن بطوطة مُحَمَّد بن عبدالله بن مُحَمَّد بن تاويت الطنجي (ت: 979هـ/1377م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، دار الحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1987م، ط1، ج1.
4. البكري أبي عبيد الله (ت: 487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، 1997م.
5. **----------**، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ط1.
6. التمبتكي أحمد بابا أبو العباس أحمد (ت: 1036هـ/1627م)، **معراج الصعود**، تح، تع: فاطمة الحراق وجون مانويك، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة المعارف جديدة، ط1، 2000م.
7. الحميري عبد المنعم (ت: 727هـ/ 1337م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975م، ط1، 1984، ط2.
8. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت:376هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

9. ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمان بن مُحَمَّد الحضرمي (ت: 808هـ/1406م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط ونشر ومراجعة خليل شحادة، بيروت، ط4.

10. الزُّهري أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر (توفي بعد سنة 543هـ/ 1154م وقبل 556هـ/ 1161م)، **الجغرافيا**، تح: مُحَمَّد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1.

11. السعدي عبد الرحمان (ت: 1066هـ/1656م): **تاريخ السودان**، تح تع: حماه الله ولد سالم، دار الكتب، لبنان، ط 1، 2012م.

12. ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ/ 1274م)، **الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، ط2.

13. العمري شهاب الدين أحمد بن يحي بن الفاضل الله (ت: 484هـ/ 1347م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، دار الكتب الوطنية أبو ظبي، 2002م.

14. القزويني زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

15. القلقشندي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي أحمد (ت: 821هـ/ 1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، مصر، 1915م، ج 5.

16. كامره الحاج موسى، **زهور البساتين في تاريخ السوادين**، تح: ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت.

17. كعت محمود (ت: 1002هـ/ 1593م)، **تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، تح تع: حماه الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2012م.

18. المراكشي عبد الواحد (توفي بعد 647هـ/1250م)، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط 1، 1997.

19. المقدسي أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد شمس الدين البشاري (ت: 381هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 1991م.

20. المقري أحمد بن مُحَمَّد شهاب الدين التلمساني (ت: 1041هـ/1631م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهواس، طبعة المحمدية فضالة، 1400هـ/ 1980م، ج 5.

21. مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، د.ت، بغداد.

22. مؤلف مجهول، **الطبيخ في الأندلس والمغرب في عصر الموحدين، تح: أمبروزيو هويشي ميراندا**، د.د، د.ت.

23. ابن الوردي سراج الدين (ت: 861هـ/1457م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، ط 1، 2008م.

24. الوزان الحسن بن مُحَمَّد الملقب بليون الإفريقي (ت: 958هـ/1546م)، **وصف إفريقيا**، تر: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م.

ثانيا: المراجع

25. أحمد شفيق بك، **الرق في الإسلام**، ترجمة: أحمد زكي، المطبعة الأهلية، ط 1، 1892م.

26. أحمد طاهر، **إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر**، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

27. إسماعيل حامد إسماعيل علي، **تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط**، دار المصورات للنشر والتوزيع، الخرطوم، ط1، 2021م.

28. باري عثمان برايما: **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين للطباعة، القاهرة، مصر، ط1.

29. باري مُحَمَّد علي، سعيد إبراهيم كريديه، **المسلمون في غرب إفريقيا(تاريخ وحضارة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007م.

30. بنرمضان زوليخة، **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10هـ/11 و16م**، ج 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط 1، 1436هـ/2015م.

31. بوعمامة فاطمة: **اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14 و15م**، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011م.

32. الترمانيني عبد السلام، **الرق ماضيه وحاضره**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979م.

33. الجرجاني علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف، **معجم التعريفات قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة**، تح ود: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م.

34. جودت عبد الكريم، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، مكتبة الأمير عبد القادر، الجزائر، د.ت.

35. دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430–514هـ/ 1038–1121م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

36. زاهر رياض، **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م.

37. زبادية عبد القادر، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989م.

38. سيلا عبد القادر مُحَمَّد، **المسلمون في السنغال**، كتاب الأمة, قطر، ط 1، 1995.

39. شعباني نور الدين، **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، د.ت.

40. الشكري أحمد، **الإسلام والمجتمع السوداني(إمبراطورية مالي 1230–1430م)**، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، 1999م، ط1.

41. الشنقيطي مُحَمَّد الأمين، **نظام الرق في الإسلام**، دار الصفا، الزقازيق، مكتبة الأوس، المدينة المنورة.

42. الشنقيطي أحمد بن الأمين، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك**، القاهرة، 1404هـ/ 1983م.

43. شوقي عبد القوى حبيب، **التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين (648-922هـ/ 1250-1517م)**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2000م.

44. طرخان إبراهيم علي، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

45. ----------، **دولة مالي الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

46. عارف تقي الدين الدوري والدجيي خولة شاكر، **تاريخ المسلمين في إفريقية**، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2014.

47. عبد الله ناصح علوان، **نظام الرق في الإسلام**، دار السلام، جدة، 2003م.

48. العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983م.

49. -------، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ و حضارة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م.

50. العزب موسى عايدة، **تجارة العبيد في إفريقيا**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2، 2007م.

51. عمرو منصور، **ذهب غرب إفريقيا وعروش الدول الإسلامية من سحر القيام إلى آلام السقوط (140–628هـ/757–1230م)**، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط1، 2021م.

52. عوض مُحَمَّد، **السلالات الإفريقية**، الدار المصرية، د.ت.

53. الغربي مُحَمَّد، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج، الكويت، ج 1.

54. غرياني بطل شعبان مُحَمَّد، **الحرب والمجتمع في السودان الغربي (726–1000هـ/ 1325–1591هـ)**، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، ط1، 2022م.

55. الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**، بنغازي، 1997م.

56. قداح نعيم، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، راجعه: عمر الحكيم، سلسلة الثقافة الشعبية، 1960م.

57. قطب أماني، **طريق الذهب في الصحراء الكبرى الإفريقية ودوره الحضاري منذ القرن (2هـ/8م) حتى القرن (10هـ/16م) دراسة تاريخية**، تقديم مُحَمَّد أحمد مُحَمَّد بديو، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط 1، 2022م.

58. كان مَامُودو، **التراث الحضاري المشترك بين بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربي من القرن (5–10هـ/11–16م)**، دار الإسراء للطباعة والنشر والتوزيع، نواكشوط، ط 1، 1445هـ/2024م.

59. مبروك الدالي الهادي، **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط 2**، 2001م.

60. --------، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1999.

61. مُحَمَّد علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م.

62. مُحَمَّد عوض مُحَمَّد، **الشعوب والسلالات الإفريقية**، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، د.ت.

63. محمود خالد حسين، **الرقيق والنشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط**، الهيئة المصرية، 2022م، ط1.

64. مقدم مبروك، **الإمام مُحَمَّد عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر ميلادي**، تق: باي بلعالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.

65. مهندس فريد عبد الرشيد، **تجارة الرقيق بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال عصري المرابطين والموحدين 448–668هـ/1056–1296م**، عين للدراسات والبحوث، 2020م، ط1.

66. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول الغرب الأقصى**، تح، تع: جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ج 5.

67. الناني ولد الحسين، **صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**. تقديم مُحَمَّد حجي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2007م.

68. الهلال أحمد مولود ولد أيّده، **مدن موريتانيا العتيقة قصور ولاته وودان وتيشيت وشنقيط**، تق عبد الودود ولد الشيخ، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.

69. ولد سالم حماه الله، **تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

70. المسعودي مُحَمَّد عبد الغني، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي إقليم إفريقيا**، جامعة الإمام مُحَمَّد بن مسعود، السعودية، 1999.

رابعا: المراجع المترجمة

71. بانكيار مادهو، **الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية**، تر، تع، تح: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ط 2 منقحة، ج1 و2..

72. بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، تر: الهادي أبو لقمة، مُحَمَّد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988م، ط2 منقحة ومزيدة.

73. تيري جاك، **تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى**، تر: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية، مصراته، ليبيا، ط1، د.ت.

74. دنيس بولم، **الحضارات الإفريقية**. تر: علي شاهين، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.ن.

75. كول مال، **الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة**، تر تع: مُحَمَّد الحمداوي، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ت.

76. هوبكنز أ.ج، **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، تر تق: مُحَمَّد عبد الغني سعودي، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م.

خامسا: الرسائل الجامعية

77. إيهاب شعبان الشافي سالم، **القضاء في دولتي مالي وصنغاي وآثاره الحضاري في المجتمع**، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2012.

78. بوداوية مبخوت، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر قايد، تلمسان، 1426-1427هـ/ 2005-2006م.

79. فرح سعد، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر**، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة (1)، وهران، 1436-1437هـ/ 2015-2016م.

80. قدوري عبد الرحمن، **المبادلات التجارية بين بلدان المغرب ومنطقة غرب إفريقيا بين القرنيين 10 و11م/ 16 و17م ودورها في ترسيخ الثقافة الإسلامية**، أطروحة دكتوراه علوم تخصص تاريخ حديث، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم التاريخ، 2018/2017.

81. كواتي مسعود، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1411-1412هـ/ 1990-1991م.

سادسا: المجلات والدوريات

82. بلهواري فاطمة، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة، ع 10.

83. بوزاد فاطمة، "مساهمة الرقيق في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب المريني"، دورية الكان التاريخية، ع 22، ديسمبر 2023م.

84. بن عربة مُحَمَّد وبوسالم أحلام، دور مدينة ورجلان في تجارة الرقيق، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا"، مج 4، ع 1، جانفي 2021م.

85. بن موسى جميلة، "ذهب السودان ودوره في تجارة المغرب الإسلامي"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 9، ع 2.

86. جابر عماد سلسبيل، النشاط التجاري لمدينة غانة في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، ع 70، 30 جوان 2022م.

87. حسن سيد عبد الله مراد، مملكة سنغاي، مجلة قراءات تاريخية، ع 13، 1433هـ/ 2012م.

88. حسنات عوض سالي، اليهود في شمال إفريقيا في العصور الوسطى، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع 4، أوت 2000م.

89. الحمدي أحمد ، مجلة الحضارة الإسلامية، تحديد وضعية عبيد توات من خلال "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان" لأحمد بابا التنبكتي، مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، ع 23، رمضان 1435هـ/ جويلية 2014.

90. الرباصي مفتاح يونس: ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى، مجلة الساتل، د.ع، د.ت.

91. رضوان هواري، التطور السوسيو اقتصادي في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط قراءة في الباب والعوامل، مجلة الشاملة متعددة التخصصات، ع 13، جويلية 2019م.

92. السعدي رشيدة: "الممالك الاسلامية في غرب افريقيا إمبراطورية سنغاي أنموذجا (النشأة والتطور)"، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج 2، ع 1، جوان 2018.

93. غرياني بطل شعبان، دور اليهود في التجارة عبر الصحراء خلال العصر الوسيط الإسلامي بين الادعاء والحقيقة التاريخية، كلية الدراسات الافريقية العليا جامعة القاهرة، ع 28، جانفي 2023.

94. منشد عباس علي، الصادرات المصرية إلى بلاد السودان الغربي من القرن الخامس حتى التاسع هجري، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع 54، مارس 2020م.

سابعا: المحاضرات والمطبوعات البيداغوجية:

95. بوبيدي حسين، **مطبوعة بيداغوجية علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي**، موجهة لطلبة السنة أولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة قسنطينة 2، 1433-1434هـ/2021-2022م.

96. -------، **محاضرة الحواضر الصحراوية الفاعلة في العلاقات**، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، 2021/2020، منصة التعليم عن بعد، الرابط الالكتروني:
https://elearning.univconstantine2.dz/elearning/course/view.php?id=727.

97. عبد الرحمن بوسليماني، **مطبوعة دروس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**، جامعة البليدة 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم المكتبات، 2024/2023.

فهرس الموضوعات

إهداء.....03
شكر وتقدير.....04
قائمة المختصرات.....05
مـقـدمـة.....06

مدخــل

أولا: المجال الجغرافي لبلاد السودان الغربي

الموقع.....11
المناخ.....12
التضاريس.....14

ثانيا: التركيبة السكانية

قبائل التكرور.....16
قبائل الفلان.....17
قبائل الصنغاي.....18
قبائل الولوف.....19
قبائل السوننك.....19
قبائل الطوارق.....20

ثالثا: الممالك السودانية

مملكة غانة.....20
مملكة مالي.....21
مملكة صنغاي.....22

رابعا: تاريخ تجارة الرقيق

تعريف الرق لغة وإصطلاحا.....24

جذور تجارة الرقيق بإفريقيا.....25
موقف الإسلام من الرق.....27
موقف الأفارقة من الرق.....27

الفصل الأول الممالك السودانية وشبكات تجارة الرقيق في السودان الغربي

المبحث الأول: دور الممالك السودانية واليهود في تجارة الرقيق

أولا: دور الممالك السودانية (غانة، مالي، سنغاي).....32
ثانيا: أصناف العبيد في بلاد السودان الغربي.....37
ثالثا: دور اليهود.....38

المبحث الثاني العلاقات التجارية مع العالم الخارجي

أولا: مع المغرب الإسلامي.....41
ثانيا: مع المشرق الإسلامي.....43
ثالثا: مع الأوربيين.....44

المبحث الثالث: طرق تجارة الرقيق وشبكاتها

أولا: الطرق والمسالك التجارية.....46
ثانيا: المراكز التجارية.....50
ثالثا: مصادر جلب الرقيق.....57

الفصل الثاني الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية لتجارة الرقيق

المبحث الأول: الآثار الاقتصادية

أولا: دور تجارة الرقيق في تعزيز الاقتصاد السوداني.....67
ثانيا: تأثير التجارة على الزراعة والصناعات المحلية.....69
ثالثا: العلاقة بين تجارة الرقيق وتجارة السلع الأخرى.....73

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية

أولا: تأثير تجارة الرقيق على التركيبة السكانية.....77

ثانيا: التغيرات في النظم الاجتماعية والقبلية.....79

ثالثا: أدوار العبيد في المجتمع.....81

المبحث الثالث: الآثار الثقافية والدينية

أولا: تأثير تجارة الرقيق على انتشار الإسلام.....86

ثانيا: دور العبيد في نقل الثقافات والعادات.....88

خاتمة 92

الملاحق.....95

ثبت المصادر والمراجع 101

الملخص

الملخص

تناولت الدراسة الموسومة بـ"**تجارة الرقيق ببلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط**" دور ممالك غانة ومالي وسونغاي في تعزيز هذه التجارة عبر تأمين الطرق وفرض الضرائب، كانت الحروب والغارات والاختطاف وبيع الأحرار من أهم وسائل جلب الرقيق، ساهم التجار بدور مهم في ربط تجارة الرقيق بالسوق الخارجي، خاصة عبر الصحراء نحو شمال إفريقيا وأوروبا، كما ساهمت هذه التجارة في توطيد العلاقات التجارية مع المشرق الإسلامي من خلال شبكة معقدة من الطرق التجارية والمراكز مثل تمبكتو وولاته.

ساهمت هذه التجارة في تنشيط الاقتصاد المحلي وزيادة تدفق الثروات، لكنها تسببت في نقص اليد العاملة وتراجع دور الزراعة والصناعة، وأدت إلى اختلالات اجتماعية مثل تفكك الأسر وتغير البنية القبلية، ومن جهة أخرى، ساهم الرقيق في نشر الإسلام والثقافة العربية، مما أتاح تفاعلا حضاريا واسعا في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الرقيق؛ السودان الغربي؛ العصر الوسيط؛ التجارة.

Abstract:

The study titled "**The Slave Trade in the Western Sudan during the Mediaeval Period**" explored the roles of the kingdoms of Ghana, Mali, and Songhai in supporting this trade by securing routes and collecting taxes. Slaves were acquired mainly through wars, raids, abductions, and debt bondage. Jewish merchants played a key role in connecting the trade to markets in North Africa and Europe. The slave trade also strengthened commercial ties with the Islamic East via trade centers like Timbuktu and Walata.

While it boosted the local economy and increased wealth, it also depleted labour, harmed agriculture and industry, and disrupted social structures. Meanwhile, slaves contributed to spreading Islam and Arabic culture, fostering cultural exchange across the region.

Keywords: Salaverry; West Soudan; the Middle Ages; Trade.